أيمن شرف

الهولوكوست المعكوس

كيف قتل اليهود ٨٠ ألف ألماني وعذبوا ثلاثة ملايين آخرين



مكتبة جزيرة الورد

الهولوكوست المعكوس

قصة قتل اليهود لـ٨٠ ألف ألماني
وتعذيب ٣ ملايين آخرين

أيمن شرف



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : الهولوكوست المعكوس

المؤلف : أيمن شرف

رقم الإيداع : ٢٠١١/٩٦٣١

الطبعة الأولى ٢٠١١



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

المقدمة



بدافع أخلاقي وإنساني هو تخليص اليهود من «عقدة الكراهية» أو إحساس الضحية جراء ما حدث لهم من اضطهاد في ألمانيا النازية أثناء وقبل الحرب العالمية الثانية أمضى الصحفي الأمريكي المخضرم جون ساك نحو ثمانية أعوام في إعداد كتابه «العين بالعين»، ليوثق شهادات عن وقائع انتقام بعض اليهود من الألمان قرب نهاية الحرب العالمية الثانية، فخرج بكتاب مدهش يكشف عن قتل ما بين ٦٠ إلى ٨٠ ألف ألماني وتعذيب نحو ثلاثة ملايين آخرين في معسكرات اعتقال في بولندا على يد يهود كانوا يعملون في جهاز الأمن البولندي من أجل الانتقام، ويفتح الباب أمام بحث تاريخي ومناقشة علنية لظاهرة «مسكوت عنها» كثيرا في وسائل الإعلام الغربية.

لم يتوقف الصحفي جون ساك رغم المصاعب والمخاطر التي واجهها -وصل بعضها إلى حد «تهديده بالقتل»- عن إكمال عمله، بما يمليه عليه ضميره الأخلاقي، ورؤيته عن كيفية الخلاص من «دائرة الكراهية» الجهنمية التي وجد يهود أوروبا أنفسهم في قلبها لكنهم لم يخرجوا منها بعد، تتلخص تلك الرؤية في أن يحاسب الجميع دون استثناء، وأن يتم الكشف عن جرائم الجميع: الجلاد النازي والضحية اليهودي الذي انتقم -حسب المؤلف جون ساك- بصورة تكاد تفوق في بشاعتها ووحشيتها ما حدث لليهود في الهولوكست، الكتاب أثار حملة ضده في أمريكا وأوربا، وتكمن خطورته في أنه يحرم «الدولة الإسرائيلية» من مبرر أخلاقي لوجودها، فإنشاء «وطن قومي» لليهود في فلسطين هو في نظر كثيرين في أوروبا وأمريكا تعويض عما جرى لهم في ألمانيا النازية، والكتاب يؤكد أن اليهود شاركوا مع آخرين عقب اجتياح السوفييت لبولندا وطرد جيش النازي منها في جرائم إبادة جماعية وجرائم ضد الإنسانية في حق مواطنين ومدنيين ألمان.. أي أنهم انتقموا ولم يحاسبهم أحد، بل تمتعوا بحماية من مواجهة العدالة في إسرائيل وبريطانيا وكندا

وغيرها من الدول، بينما حوكم مجرمو الحرب النازيون ومازالوا إلى الآن مطلوبين للعدالة.

بنفس الدافع الأخلاقي والإنساني للكاتب الأمريكي جون ساك أضع قصة الكتاب ومؤلفه وتحليلا لردود الأفعال التي أثارها، ووجهات نظر المؤرخين في مدى صحة ما توصل إليه من نتائج خلال بحثه بين يدي القارئ العربي لأول مرة.



الفصل الأول

«العين بالعين»

قصة أغرب من الخيال



مدخل

محارق اليهود على يد الألمان النازيين قصة استهلكت أطنانا من الأحبار والأوراق والكتب وكل أشكال النشر في كافة أنحاء العالم، حسب جون ساك.. بلغ عدد الكتب التي صدرت في العالم تبحث وتوثق الروايات اليهودية التفصيلية بشأن ما تعرضوا له في المعسكرات النازية فيما يسمى بالهولوكوست ٨٥ ألف كتاب، روايات يستقبلها كثيرون في الغرب كحقيقة لا تقبل الجدل، ومن ينكرها يحاكم في بعض الدول ويحاصر ويضطهد في دول أخرى، أما قصة محارق الألمان على يد يهود (كانوا أشد نازية ربما من معذبيهم) أو وقائع انتقام اليهود من الألمان فليست معروفة تقريبا ومن يتحدث عنها أو يبحثها محاصر ومضطهد وممنوع من مخاطبة القراء بوسائل شتى..

* ٨٥ ألف كتاب توثق الروايات اليهودية التفصيلية عن الهولوكوست والكتاب الوحيد عن انتقامهم من الألمان ممنوع ومحاصر.

* صحيفة يومية ومجلة شهرية وثلاث دور نشر دفعت للمؤلف ٤٠ ألف دولار ثم امتنعت عن النشر.

* إحدى دور النشر الأمريكية طبعت ١٧ ألف نسخة من الكتاب ثم أخفتها دون أن تباع في الأسواق

* عشرون صحيفة وناشر قرأوا كتاب «العين بالعين» وأثنوا عليه لكنهم جميعا رفضوا نشره واعتبره أحدهم كتابا «لا يجرؤ على عرضه أحد».

* اليهود أداروا ١٢٥٥ معسكر اعتقال للألمان المدنيين ضمت رجالا ونساء وصبية وأطفالا رضع أيضا، وهناك ضربوا وجلدوا ثلاثة ملايين ألماني معظمهم

مدنيون وقتلوا تحت التعذيب نحو ٨٠ ألفا منهم.

* في الشهور العشرة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية تولي يهود قيادة معسكرات اعتقال للألمان في بولندا مارسوا فيها التعذيب والقتل بأبشع الصور.

* في معسكر واحد قتل ما يزيد على ١٥٠٠ ألماني وهرب قائده إلى إسرائيل التي رفضت تسليمه إلى القضاء البولندي لمحاكمته.

* مؤلف الكتاب صحفي مخضرم أحد رواد «الصحافة الجديدة» في الولايات المتحدة التي تعتمد على السرد المحايد للقصة الإخبارية وتقديمها من خلال وجهة نظر المشاركين فيها.

* بعد دعوة المؤلف لمحاضرة عن كتابه في متحف الهولوكست التذكاري في واشنطن ألغيت الدعوة فأقام مؤتمرا صحفيا في نادي الصحافة الدولي على نفقته ليحكي قصته.

* في عام ١٩٨٩ زار جون ساك الأرشيف الألماني الاتحادي وعثر على خمس شهادات لألمان كانوا معتقلين في سجن «بولا» والتقى بهم ووجد ثلاثة حراس ممن عملوا معها وزار السجن نفسه.

منذ أكثر من ستين عاما لم يتعرض في الولايات المتحدة كتاب للمنع والقمع بمنتهى العنف مثلما حدث لكتاب «العين بالعين- قصة اليهود الذين انتقموا ردا على الهولوكست» لمؤلفه اليهودي - أيضا- جون ساك.. صحيفة يومية كبرى ومجلة شهرية كبرى وثلاث دور نشر دفعت للمؤلف ٤٠ ألف دولار، ثم امتنعت عن النشر، إحدى دور النشر الثلاث طبعت ١٧ ألف نسخة من الكتاب ثم اختفت النسخ دون أن تباع في الأسواق.

أكثر من عشرين ناشرا قرأوا الكتاب وأثنوا عليه، وكتبوا لمؤلفه تعليقاتهم: إنه «كتاب صادم» و«مثير» و«مدهش» و«فوق العادة»، و«أثار إعجابنا»، لكنهم جميعا

رفضوا نشره.

وأخيرا نشرته دار نشر Basic Books (بيزك بوكس) وقالت عنه مجلة نيوزويك إنه «أشعل جدلا غاضبا»، فكان من أكثر الكتب مبيعا في أوروبا، ولكنه ظل منبوذا في أمريكا، حتى أصبح «الكتاب الذي لا يجرؤ على عرضه أحد».

وقام برنامج «سكستي مينتس» (٦٠ دقيقة) وصحيفة نيويورك تايمز بمراجعة الوقائع التي ذكرها المؤلف جون ساك (المتوفي في ٢٧ مارس ٢٠٠٤ عن ٧٤ عاما) عن: «سعي آلاف من اليهود في أواخر الحرب العالمية الثانية للانتقام مما حدث لهم في الهولوكست».

هؤلاء اليهود أداروا ١٢٥٥ معسكر اعتقال للألمان المدنيين، ضمت رجالا ونساء وصبية وأطفالا رضع أيضا، وهناك ضربوا وجلدوا ثلاثة ملايين ألماني معظمهم مدنيون وقتلوا تحت التعذيب ما بين ٦٠ إلى ٨٠ ألفا منهم.

الشخصيات الحقيقية في كتاب «العين بالعين» يهود من أمثال شلومو موريل الذي قلب الهولوكست رأسا على عقب، فجعل من معسكر اعتقال كان يديره نسخة معكوسة من الهولوكست: الألمان ضحايا يُعَذبون ويُقتلون واليهود هم الجلادون.

الصحفي الأمريكي المخضرم جون ساك صادف ذات يوم معلومة عن تولي يهود قيادة معسكرات اعتقال للألمان في بولندا خلال الشهور العشرة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية وأن التعذيب والقتل مورسا فيها بأبشع الصور، ولم يسمح له ضميره بالصمت أمام ما اعتبره حقائق غائبة يساعد الكشف عنها والاعتراف بها على الخروج من «دائرة الكراهية» التي تركت ظلالها على تاريخ اليهود في أوروبا، وبدون ذلك كما يرى ساك لا تستقيم مطالبتهم اليوم للآخرين أيا من كانوا بأن يتخلوا عن الكراهية والتعصب ضدهم.

وخلال بحثه تأكد ساك بأن يهوديا واحدا مسئول عن تعذيب وقتل ١٥٨٠ ألمانيا في معسكر اعتقال واحد وأنه هرب إلى إسرائيل التي رفضت تسليمه إلى القضاء البولندي لمحاكمته على جرائمه ضد الإنسانية، وكذلك رفضت بريطانيا وكندا تسليم آخرين، وصادف الكاتب الأمريكي متاعب كثيرة لكي ينشر بحثه وكتابه كان أخفها رفض النشر والتشكيك في عمله.

من هو جون ساك

جون ساك يعد أحد رواد ما يسمى «بالصّحافة الجديدة» في الولايات المتحدة والتي تعتمد على السرد المحايد للقصة الإخبارية وتقديمها من خلال وجهة نظر المشاركين فيها، واشتهر ساك كمراسل عسكري كتب تقارير متميزة من ميادين القتال في كوريا وفيتنام والعراق ويوغوسلافيا وأفغانستان.

ولد في مدينة نيويورك في ٢٤ مارس عام ١٩٣٠، لأب يهودي اسمه جون جاكوب ساك كان يعمل محاسبا لشركة دافيجا للأدوات الرياضية.

أول مقالة تنشر لجون ساك في مجلة إسكواير كان عدد كلماتها ٣٣ ألف كلمة، ومازالت أطول مقالة نشرت في المجلة حتى الآن، كان عنوانها على غلاف أسود تماما «يا إلهي – لقد قتلنا فتاة صغيرة»، وهي تحقيق مطول يتابع وقائع رحلة لسرية مشاة أمريكية منذ تدريبها في فورت ديكس بنيو جيرسي حتى أول معركة لها في فيتنام.

في ذلك الوقت كان ساك يجمع في أسلوب كتابته ما بين التكنيك الأدبي والسرد الواقعي على لسان أبطال القصة الإخبارية فيما اعتبر وقتها «صحافة جديدة»، وقد أعاد ساك نشر وقائع ذلك التحقيق الصحفي عن سرية المشاة في سلسلة كتب «إم»، لينال عنها جائزة من قسم الصحافة في جامعة نيويورك والذي اعتبرها واحدة من أفضل الأعمال الصحفية الأمريكية في القرن العشرين.

بدأ ساك عمله في مهنة الصحافة في الخامسة عشرة من عمره مندوبا صحفيا لجريدة «مامارونيك ديلي تايمز» في معسكر كشافة سيوني في نيويورك، وبعدها تخرج من جامعة هارفارد حاصلا على درجة البكالوريوس في آداب اللغة الإنجليزية عام ١٩٥١، ثم تطوع للخدمة العسكرية في كوريا، وخلال السنوات الأولى من مهنته العسكرية كتب تقارير صحفية لمجلات أرمي (الجيش) وباسيفيك ستارز وستريبس وعمل مراسلا لوكالة يونيتد برس ومجلة هاربرز.

وعند عودته إلى أمريكا بدأ ساك في الكتابة الساخرة لمجلة نيويوركر، وعلى مدى ثماني سنوات كتب للمجلة مقالات ساخرة متميزة تداني ما كتبه كتاب ساخرون بارزون مثل س. جي. بيرلمان وجيمس ثيربر، وفي الستينات عمل كاتبا ومعدا ومراسلا خاصا لشبكة سي.بي.إس.نيوز، وعمل مديرا لمكتبها في مدريد وألقى محاضرات في كلية الدراسات العليا بجامعة كولومبيا.

وفي عام ١٩٦٦ انتقل ساك من شبكة سي.بي.إس.نيوز إلى مؤسسة إسكواير ليعمل بها مراسلا عسكريا، حيث واصل كتابة مقالات متميزة على مدى ٤٥ عاما، لقيت استحسان وإشادة النقاد لالتزامه بعرض الحقائق، إلى جانب استخدامه غير المفرط للتقنيات الأدبية في الكتابة.

غطى ساك الحرب في فيتنام ويوغوسلافيا وأفغانستان والعراق، وكان الصحفي الأمريكي الوحيد تقريبا الذي قام بتغطية جميع الحروب الأمريكية على مدى السنوات الخمسين الماضية، وكانت سلسلة حواراته مع الملازم ويليام إتش. كالاي الذي أدين بقتل مدنيين فيتناميين في ماي لاي قد أثارت معركة قانونية حول الحصانة القانونية وميثاق الشرف الصحفي، وألقى القبض على ساك ووجهت إليه تهم جنائية لرفضه الشهادة ضد كالاي ورفضه تسليم الأشرطة التي سجل عليها الحوارات وتفريغها إلى النيابة العامة، وأخيرا حفظت القضية.

وقد ألف ساك عشرة كتب، وعمل على فترات متقطعة محررا في مجلة بلاي بوي، ومعد برامج في تليفزيون KCBS في لوس أنجليس، وكاتبا للعرض التلفزيوني That's Incredible «أمر لا يصدق»، وتوفي في ٢٧ مارس عام ٢٠٠٤ عن عمر يناهز الرابعة والسبعين حيث كان يعيش في إيداهو بسبب سرطان نخاع العظام.

قصة أغرب من الخيال

«المتحف التذكاري للهولوكوست في واشنطن يقوم بعمل رائع ولكنني أبغض فيه شيئا واحدا هو أنه لا يتحدث عن القتل الجماعي عندما يكون الفاعل يهوديا»، العبارة السابقة لمؤلف كتاب «العين بالعين» الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٩٣ ثم توقفت طباعته نهائيا بعد ذلك بأربع سنوات.

الاستماع إلى جون ساك متحدثا أو قراءة كتابته في موضوعه الأثير «انتقام اليهود من الألمان» تشبه إلى حد ما قراءة مغامرات «ألف ليلة وليلة» حيث كل مغامرة تقودك إلى أخرى أكثر إدهاشا، مع فارق بسيط هو أن مغامرات «ألف ليلة وليلة» خيال محض، أما مغامرات ساك فحقائق ذات زمان ومكان محددين، الزمان: النصف الثاني من القرن العشرين والمكان: ولاية كاليفورنيا وبولندا وألمانيا وإسرائيل.. وفارق آخر هو أن رواية ألف ليلة وليلة متاحة في معظم مكتبات العالم في عشرات اللغات، أما كتاب ساك فممنوع من الطبع.. وحتى نسخته الإلكترونية التي وضعها المؤلف قبل وفاته على شبكة الإنترنت لم تعد متاحة لأسباب غامضة.

كان ساك قد تلقى دعوة من مدير معهد الأبحاث التابع لمتحف الهولوكست التذكاري في واشنطن ليتحدث عن قصة مقتل ما بين ٦٠ إلى ٨٠ ألف معتقل ألماني على يد قوات الحرس اليهودي عقب المحرقة الأوروبية في الحرب العالمية الثانية، وقبل عقد الندوة بقليل ألغاها مدير المتحف الجديد -وقتها- د.والتر رايش.

وبعد إلغاء الدعوة دفع ساك ٣٠٠ دولار لعقد الندوة نفسها أمام الصحفيين في

نادي الصحافة الدولي في واشنطن في ١٣ فبراير ١٩٩٧، في محاولة منه لمواجهة المنع الرقابي الذي مارسه ضده متحف المحرقة.. هناك حكى ساك قصة كتابه كيف بدأ ومن أين التقط الخيط وما المصاعب التي واجهها.

في أبريل عام ١٩٨٦ التقى ساك في ولاية كاليفورنيا بسكرتيرة في شركة بارامونت في هوليوود، بحكم إقامته هناك، وأثناء الحديث معها علم أنها ابنة ليهودية ناجية من المحرقة وأخبرته السكرتيرة كيف قُتلت جدتها وخالتها وشنق خالها في معسكرات اعتقال النازي في يناير ١٩٤٥.. ومن خلالها تعرف على أمها «لولا بوتاك» التي هربت عندما كان يتم ترحيل السجناء من معسكر إلى آخر لتجنب جيوش الحلفاء القادمة في شتاء ١٩٤٤-١٩٤٥، وعندما استولى الروس على المنطقة التي كانت مختبئة فيها تطوعت لخدمة البوليس السري البولندي في مواجهة الألمان وانتهى بها الحال قائدة لمعسكر اعتقال للسجناء الألمان في جليفيتش ببولندا، وكان هذا المعسكر واحدا من ١٢٥٥ معسكرا أقامتها القوات السوفيتية التي اجتاحت أوروبا عندئذ كما قال جون ساك.

بعد تلك المقابلة مع لولا بوتاك أمضى ساك عامين ونصف العام في إجراء حوارات معها ومع أعضاء آخرين في «الحرس اليهودي» عرفته بهم، وتناول خلالها خبراتهم ومعايشاتهم في المعسكرات البولندية والروسية.

وكانت النتيجة مقالا مدهشا في «مجلة كاليفورنيا» حمل عنوان «انتقام لولا وخلاصها» تحدث فيه ساك عن أول ما خطر ببالها وهو الانتقام، ثم التحول الذي حدث لها بحيث وجدت نفسها في النهاية تعارض حارسا يعمل تحت رئاستها كان يضرب سجينا ألمانيا، فسألت الحارس «لماذا تعذبهم؟ لكي تكون مثلهم!» ومنذ ذلك الحين راحت تحث الحراس على أن يعاملوا السجناء معاملة إنسانية، وقالت لولا «ربما يتعلم اليهود أن كراهيتهم لجيرانهم لن تدمر الجيران فحسب ولكنها

بالتأكيد ستدمر اليهود أنفسهم».. وفاز مقال ساك بجائزة أفضل مقال في مجلة عن ذلك العام.

بعدها وقع ساك اتفاقا مع لولا لتحويل قصتها إلى كتاب عن معسكرات اعتقال الألمان التي أدارها يهود ناجون من الهولوكوست، وبعد محاولات مع عدد من الناشرين وافقت دار نشر «هنري هولت» على الفكرة، ولسوء حظ ساك رفضت لولا والحراس السابقون الذين عرفته بهم السماح باستخدام قصصهم وعندما قال لهم : إن بينهم عقدا هددوه «بالانتقام بل والقتل».

أقلع ساك الذي يتحدث الألمانية بطلاقة عن فكرة التعاون معهم، ولكنه لم يتخل عن فكرة الكتاب، وفي عام ١٩٨٩ زار الأرشيف الألماني الاتحادي الموجود في قلعة على نهر الراين، حيث وجد خمس شهادات لألمان كانوا معتقلين في سجن لولا والتقى بهم ووجد ثلاثة حراس ممن عملوا معها وزار السجن نفسه.

من هناك قاده بحثه إلى عدة دول حيث التقى بشهود آخرين واطلع على آلاف الوثائق وأكد بحثه أن لولا عملت بالفعل مأمورة للسجن وأنها أوقفت بالفعل العنف ضد السجناء.

تراجع لولا عن النشر

يقول ساك «بدأت إجراء المقابلات مع لولا في فندق «إن» ـالطريق السابع في لوس أنجليس، وفي المقبرة اليهودية بولاية نيو جيرسي، وفي شارع الشانزليزيه في باريس، واستغرقت المقابلات عامين ونصف العام، استرسلت خلالها في حكي ذكرياتها، وعرفتني باثني عشر شخصا آخر جميعهم يهود ممن كانوا يعرفونها في جلايفتس بالإضافة إلى حراس السجن هناك، وحتى الرجل الذي عينها قائدة للمعسكر».

وكتب مقالة من عشرين صفحة عن انتقام لولا، واطلعت عليها وأبدت إعجابها

بها، ونشرت المقالة في مجلة كاليفورنيا، وجاءت لولا على نفقتها الخاصة إلى واشنطن للترويج للموضوع في الإذاعة الوطنية العامة من أجل بيع القصة دوليا، وأعيدت طباعة المقالة ضمن أفضل مقالات المجلة عام ١٩٨٨، وأصبح لديهما عروض لتحويل القصة إلى فيلم، وأعلنت الممثلتان بات ميدلر وسوزان سومرز أنهما تريدان لعب دور شخصية لولا.

وعندئذ أعد ساك اقتراحا لإعداد كتاب عن القصة، على أن يكون «قصة عن فداء وتضحية لولا، وليس قصة للانتقام»، معتزما السفر إلى ألمانيا ليقابل بعض السجناء، وإلى بولندا ليلتقي عددا من حراس السجن، وكان يعتزم أن يكون عنوان الكتاب «لولا» وفي أغسطس ١٩٨٨ أبلغه الناشر هنري هولت في مدينة نيويورك بموافقته على نشر الكتاب، وبدوره أبلغ لولا بذلك، لكنها فاجأته على الهاتف لأول مرة بأنها لا تريد نشر الكتاب، فذكرها بأنهما وقعا عقدا بالفعل، ينص على أن تعطيه «لولا الحق الحصري لتأليف ونشر كتاب عن حياتها».



الفصل الثاني

الشهود يتراجعون... والإسرائيليون يهددون





مدخل

عندما التقى جون ساك بلولا بوتاك لأول مرة عام ١٩٨٦ كانت امرأة في السادسة والستين مازالت تحتفظ ببقايا جمالها وفتنتها، أنيقة في ملبسها، تضع أحمر شفاه بلون المرجان وكحل أسود على عينيها، لكنها كانت أيضا تحتفظ بأسرار تثير شهيته الصحفية، ونهمه لمعرفة الحقيقة عن قصة بدت له غريبة في محتواها، يهود يعتقلون ألمانا مدنيين بالآلاف في معسكرات اعتقال ويمارسون الانتقام من الهولوكست.. أمضى ساك عامين ونصف العام في سماع شهادة لولا، وبعد أن أصبح بينهما مشروعا لإنتاج فيلم وكتاب عن القصة فوجئ برفضها.. وفوجئ أيضا بنوع من الحصار حوله، لكنه لم يتراجع عن مشروع الكتاب بعد أن تعاقد مع ناشر، وواصل بحثه بعيدا عن لولا، ليكتشف قصصا بشعة من التعذيب والقتل في الجزء الذي احتله الروس من الرايخ الثالث وأسندوا إدارته للبولنديين وانضم فيه كثير من اليهود للعمل داخل جهاز الأمن البولندي.

* الشاهدة الأولى على الهولوكست المعكوس تتراجع عن الاتفاق على إصدار الكتاب وتهدد المؤلف بدفع الثمن غاليا إذا نشره

* الرجل الثاني في ترتيب القيادة داخل معتقل جلايفتس يرفض تقديم شهادته

* حراس السجن السابقون بدؤوا يحرضون الآخرين على عدم الحديث مع جون ساك وبلغ الأمر حد التهديد بالقتل وإبلاغ المافيا الإسرائيلية عنه

* في مبني الأرشيف الاتحادي الألماني وجد ساك ٤٠ ألف شهادة عما حدث للألمان من طرد وتعذيب وقتل في بولندا زمن الحرب العالمية الثانية

* جون ساك زار معتقل جلايفتس وتجول في زنازينه وممراته وتصفح سجلاته

ووجد الوثيقة الرسمية الخاصة بتعيين لولا قائدة للسجن

* عندما وجد ساك طلبا بخط يد لولا «من أجل أن تتعاون ضد الألمان» تذكر ما قالته له عن أنها ذهبت إلى الحكومة البولندية وقالت بوضوح «أريد الانتقام»؟

* من أجل التحقق من صحة وقائع «الهولوكست المعكوس» سافر جون ساك إلى ألمانيا ١١ مرة وإلى بولندا ثلاث مرات وإلى فرنسا والنمسا وإسرائيل وكندا وأنحاء مختلفة من الولايات المتحدة

* من خلال مترجمين تحدث المحقق الأمريكي إلى ٢٠٠ شخص باللغات البولندية والروسية والدنماركية والسويدية والألمانية والهولندية والفرنسية والإسبانية واليديشية والعبرية وجمع من مقابلاته ٣٠٠ ساعة مسجلة على شرائط كاسيت.

* لولا كانت في الثامنة عشرة من عمرها حين انتزع منها طفلها الرضيع وقتلت أمها وشقيقها وشقيقتها وأبناؤهم جميعا ثم وضعت في معسكر اعتقال ألماني وحين هربت قررت الانتقام

* في الجزء الذي احتله الروس من الرايخ الثالث وأسندوا إدارته للبولنديين انضم كثير من اليهود لجهاز الأمن البولندي في سجون مخصصة للألمان

* قائدة معتقل جلايفتس توقفت عن تعذيب الألمان خوفا من الملاحقة القضائية وأمرت الحراس بتغيير معاملتهم للمعتقلين

* الشاهدة الأولى قالت نصف الحقيقة.. ادعت أن المعتقل كان به عشرون جنديا ألمانيا.. لكن الحقيقة الكاملة أن المعسكر كان به ألف مدني ألماني أيضا

* من بين السجناء صبي عمره ١٤ عاما سكب المسئولون في اسجن الكيروسين على شعره وأشعلوا فيه النار فأصيب بالجنون

* أحوال السجناء في المعسكر الذي كانت لولا قائدته كانت أسوأ من المعسكر الألماني الذي هربت منه فلم يكن مسموحا للألمان باغتصاب المعتقلين بينما كان

مسموحا به في سجن لولا

* إحدى الضحايا لم تكن حتى ألمانية بل طالبة طب بولندية في العشرين من عمرها عذبها الحراس حتى تحولت بشرتها البيضاء إلى لون أزرق داكن وعندما عادت إلى زنزانتها سألها زملاؤها عن ذلك الرداء الأزرق الذي ترتديه؟

التهديدات

بعد أن رفضت لولا بوتوك عبر الهاتف نشر الكتاب، ذهب الصحفي جون ساك إلى شقتها في هوليوود، فوجد أجواء مختلفة تماما عن أي لقاء سابق بينهما، وحالة من الصراخ قد انتابت الجميع، وفوجئ بلولا تقول له «الطريقة التي تكتب بها لا تعجبني، أنت تكتب كصحفي، وإذا ألفت هذا الكتاب سأمنعك من نشره!»

أما ابنتها فرجته أن يتخلى عن فكرة الكتاب، وهددته شقيقتها الصغري والتي كانت تعمل محامية بأنهم سيقاضونه على الفور وأنه سيدفع الثمن غاليا لو شرع في نشر الكتاب!، وأكدت لولا أنها ستذهب إلى المحكمة لمقاضاته، ثم عرضت عليه ابنتها الكبرى أن يوقع على تنازل عن العقد، وأن يتركهم في حالهم ويبتعد نهائيا عن حياتهم.

وغادر المكان، وحاول الاتصال بلولا هاتفيا بعدها لكنها لم ترد، وبعث إليها بخطابات أكثر من مرة، فكانت تعود خطاباته دون فتحها وعليها عبارة «رفضت الاستلام».

ولم يقتصر التراجع على لولا، فقد رفض موشيه اليهودي أيضا -وكان الثاني في ترتيب القيادة داخل المعتقل بعد لولا- الحديث مع الكاتب، وقالت زوجته عبر الهاتف: «لن نعطيك الإذن لتأليف ذلك الكتاب» وعندما قال لها إنه لا يحتاج إلى إذن منها فلديه إذن من دستور الولايات المتحدة، أغلقت الخط.

وأنكرت جاديزا -إحدى الحارسات اليهوديات اللاتي كن يعملن تحت إمرة

لولا- أنها كانت تعمل هناك، ثم تراجعت واعترفت بعملها في المعتقل، لكنها رفضت الحديث إلى ساك عن ذلك التاريخ، وفي حوار استغرق ساعة على الهاتف مع جون ساك، نفت تماما إن كانت تعرف أي شيء عن المعتقل وما جرى فيه.

وبدأ ساك يدرك أنه يتعرض لحصار، من تراجعوا عن موافقتهم على الحديث معه والإدلاء بشهاداتهم بدأوا يحرضون آخرين على عدم الحديث معه، وبدأ بعضهم يهددونه بأنهم سيقاضونه، ويدمرونه ووصل الأمر إلى حد التهديد بالقتل، أحدهم أخذ رخصة قيادة السيارة الخاصة بساك والتقط منها عنوانه وقال له «إذا كتبت عني، سأبلغ عنك المافيا الإسرائيلية».

ورغم ذلك رفض سك أن يتراجع عن مشروع الكتاب، خاصة وأنه ملتزم بعقد مع الناشر هنري هولت.

رحلة البحث

في أبريل ١٩٨٩ سافر ساك إلى ألمانيا، وذهب إلى قلعة أعلى تلة تطل على نهر الراين حيث مبني الأرشيف الاتحادي الألماني (دار المحفوظات). حيث يحتفظون بـ ٤٠ ألف شهادة من ألمان كانوا يعيشون زمن الحرب العالمية الثانية فيما يعتبر الآن أراضي بولندية، ومن بين تلك الشهادات عثر ساك على خمس شهادات لألمان كانوا في سجن لولا.

وذهب ساك إلى مكان آخر في ألمانيا: قاعة كبيرة ذات جدران حجرية تكاد تنتمي في أجوائها إلى العصور الوسطى، مخصصة للم شمل ألف شخص من جلايفتس، يجلسون حول مناضد حقيرة يأكلون السجق والمخلل، ويضحكون ويغنون، وراح ساك يتنقل بينهم يسأل إن «كان أحدهم قد دخل نزيلا إلى سجن جلايفتس يوما ما؟» وفي نهاية المطاف عثر بالفعل على خمسة من السجناء السابقين في معتقل لولا.

واستقل القطار إلى جلايفتس التي تسمى الآن جليفتش وتقع ضمن الأراضي

البولندية، وأثناء مروره إلى الشطر الشيوعي في شرق برلين تم اعتقاله، واحتجز في غرفة صغيرة، لأنه كان يحمل في حقيبته نسخة من كتاب «طرد السكان الألمان من المناطق الواقعة شرق خط أودر - نيسه» الذي نشرته حكومة ألمانيا الغربية في الخمسينات، وبعد ساعات سمح له بالمغادرة والاتجاه إلى جلايفتس في الرابعة صباحا، كانت وقتها مدينة يقطنها نحو ٢٠٠ ألف شخص لا يتحدث أحدهم الإنجليزية، وساك لا يجيد اللغة البولندية، لكنه وجد ثلاثة من حراس لولا يتذكرون جيدا ما حدث في المعتقل.

في ١٩٨٩ كانت بولندا ما تزال دولة شيوعية، لكنه تمكن من الدخول إلى سجن لولا والتجول في زنازينه وممراته، وتصفح سجلاته، وعندما وجد طلب لولا بخط يدها: «أريد ان أتعاون ضد الألمان الذين قمعونا» تذكر ما قالته له عن أنها ذهبت إلى الحكومة البولندية وقالت بوضوح «أريد الانتقام»؟، وهناك عثر ساك أيضا على الوثيقة الرسمية الخاصة بتعيين لولا قائدة لسجن جلايفتس.

بعد ذلك سافر إلى ألمانيا ١١ مرة، وإلى بولندا ثلاث مرات، وإلى فرنسا والنمسا وإسرائيل وكندا وإلى أنحاء مختلفة من الولايات المتحدة، ومن خلال مترجمين تحدث إلى ٢٠٠ شخص باللغات البولندية والروسية والدنماركية والسويدية والألمانية والهولندية والفرنسية والإسبانية واليديشية والعبرية، وجمع من تلك المقابلات ٣٠٠ ساعة مسجلة على شرائط كاسيت، ورأى آلاف الوثائق.

فماذا أدرك من كل ذلك؟ أدرك أن لولا كانت تقول الحقيقة، وكانت قائد معسكر جلايفتس، وكان هدفها الواضح هو الانتقام، وأنها حققت هدفها بملاحقة وتعذيب الألمان حولها، لكنها توقفت بعد ذلك تماما حسبما قالت له، وقد تأكد ساك من ذلك، ففي أحد الأيام من عام ١٩٨٩ وبينما كان يتناول الغداء مع أحد حراسها السابقين في فندق ليزني Hotel Leszny، قال له الحارس دون أن يسأله وبشكل

عابر: «هل تعرف أن لولا توقفت عن تعذيب الألمان، وقالت لنا توقفوا عن التعذيب! يجب أن نظهر للألمان أننا لسنا مثلهم».

وقال بعض الحراس السابقين في سجن لولا إنها بعد أن امتنعت عن تعذيب الألمان خوفا من الملاحقة القضائية كانت أحيانا تقوم بتهريب الخبز من منزلها للسجناء، وكان ذلك مخاطرة منها، فلو انكشف أمرها كانت ستوضع في نفس السجن.

أمام نادي الصحافة

أمام جمهور نادي الصحافة الدولي قال ساك إن «لولا قالت الحقيقة.. لكنها لم تقل كل الحقيقة»، فقد علم من سجناء في معسكر لولا أن «المعسكر كان به عشرين جنديا ألمانيا.. ولكن الحقيقة أن المعسكر كان به أيضا ألف مدني ألماني».

وقال ساك بناء على الوثائق والشهادات التي جمعها إن «السجناء تعرضوا للتعذيب، وكان بينهم صبي عمره ١٤ عاما اعتقل لأنه كان يرتدي زي «الكشافة»، حيث صب المسئولون في السجن الكيروسين على شعره وأشعلوا فيه النار فأصيب الصبي بالجنون.. والألمان الذين ماتوا في المعسكر أحرقوا في مقبرة جماعية كجبانة كاثوليكية».

يضيف ساك «الحقيقة أن أحوال السجناء في المعسكر الذي كانت لولا مأمورة فيه كانت أسوأ من أحوال السجناء في معسكر أوشفيتس الألماني الذي كانت فيه لولا سجينة ثم هربت.. على سبيل المثال.. لم يكن مسموحا للسجانين في معسكر أوشفيتس باغتصاب المعتقلين بينما كان ذلك مسموحا به في سجن لولا».

وقال ساك أيضا إن «السجون كانت تحت إشراف جهاز أمن الدولة البولندي الذي كان يسميه الألمان الجستابو البولندي (لما يرتكبه من جرائم وممارسات تشبه جرائم وممارسات الجستابو الألماني)» وكان «معظم المسئولين في جهاز أمن الدولة

البولندي في مدينة كاتوفيتش يهودا.. ٧٥ بالمائة منهم يهود و٢٥ بالمائة كاثوليك».

يذكر الكاتب أن لولا كانت في الثامنة عشرة من عمرها عندما بدأ الغزو النازي لبلدها، ووضعت على متن قطار متوجه إلى بلدة أوسفيتشيم التي تعرف حاليا باسم أوشفيتس، وانتزع الألمان طفلها الرضيع الذي لم يتجاوز عمره عاما واحدا من بين ذراعيها، ولم تره مرة أخرى، ولم يتم إرسال لولا لقتلها في غرف الغاز (السيانيد)، لكن أمها قتلت وقتل شقيقها وشقيقتها وأبناؤهم جميعا ضمن مجموعة من الأفراد عددهم أربعة عشر شخصا.

ورغم التشكيك بوجود غرف الغاز في أوشفيتس إلا أن الكاتب يؤكد وجودها بل ويذكر أن آخر كلمات شقيق لولا قبل إعدامه كانت «انتقمي.. انتقمي»، لفظها شقيق لولا بلغة اليهود الأشكيناز في ذلك الوقت.

في يناير ١٩٤٥ نجحت لولا في الهرب ولكنها كانت قد فقدت كثيرا من وزنها، حتى وصلت إلى ٣٠ كيلوجراما فقط، أصبحت عيناها غائرتين، وتساقط شعرها، وأصيبت ببعض الكسور في ظهرها، وتشوهت يداها.. لحظة هروبها كانت ترتدي في قدميها فردتي حذاء شمال! في ذلك الوقت اعتقدت لولا أنها فقدت كل من كانت تحبهم، وكانت تستشيط غضبا وحقدا تجاه الألمان، وتريد أن يتحول غضبها إلى نار متأججة، تحرق الألمان جميعا، وذهبت إلى أحد أصدقاء طفولتها، وكان مسئولا في الحكومة البولندية، وأخبرته أنها تريد الانتقام من الألمان.

وبعد شهرين من ذلك اللقاء كانت الحرب مازالت مستمرة، فذهبت لولا إلى ألمانيا، وتحديدا إلى الجزء الذي احتله الروس، وأسندوا إدارته إلى البولنديين، وارتدت لولا الزي العسكري بلونه الأخضر، وأزراره النحاسية اللامعة، يزين كتفيها نجوم عسكرية، وكانت تحمل مسدسا ألمانيا من نوع لوجر (نصف آلي)، وأصبحت تعمل لحساب الحكومة البولندية كقائدة لسجن مخصص للألمان،

وجاءتها الفرصة للانتقام مما اقترفوه في حقها وحق أسرتها.

وبما أن لولا يهودية فقد درست التوراة التي تحث المؤمنين بها على «ألا ينتقموا من أحد»، لكنها عصت أمر التوراة، ويتساءل الكاتب عما إذا كان هناك أحد يمكن أن يلومها أو لا يتفهم دوافعها، أو حتى لا يشعر بالشفقة تجاهها.

عندما التقى جون ساك مع لولا بوتوك في أحد مطاعم هوليوود لأول مرة، كانت حسب وصفه لها امرأة جميلة تتكلم خمس لغات بطلاقة، وكان عمرها حينئذ ٦٦ عاما، وخلال المقابلة بدأت لولا تحكى قصتها.

في نهاية الحرب العالمية الثانية كانت لولا تدير معتقلا في جلايفتس الواقعة حاليا ضمن الأراضي البولندية، وتقول في شهادتها للكاتب جون ساك إن المعتقلين كانوا جنودا ألمان وأن بعضهم كانوا نازيين، وتابعت في شهادتها أنها كانت تبحث عن ضابط ألماني يدعى «مينجل» قال لها ذات يوم «اتجهي إلى اليمين: سوف تعيشين» ثم خاطب أمها قائلا «وأنت إلى اليسار.. لأنك ستموتين»، وتمنت لولا أن تلقاه ثانية، ولم تكن تعرف ما يمكن أن تفعله حينئذ، لكنها بالتأكيد سوف تفعل الكثير، وذات يوم رأت بين المسجونين أحد العاملين السابقين في «الجستابو» الألماني (المخابرات الألمانية في عهد هتلر)، كان في الأربعين من عمره، وكان ذراعه يحمل وشما عبارة عن حرف يدل على فصيلة دمه، وكان جميع أفراد الجستابو يحملون مثل تلك الحروف على هيئة وشم، وما إن رأته حتى فقدت أعصابها، ثم صفعته، وصرخت في وجهه: «كم عدد اليهود الذين قتلتهم؟»، وركع الرجل على الأرض وهو يتوسل إليها، يطلب منها الرحمة، وهي تواصل ركله بقدميها.

روت لولا تلك القصة بنفسها، لكن الكاتب يستدرك أن تلك القصة لن يحب سماعها أحد، ولا حتى صاحبتها لولا، لذلك لم يكن يريد أن يذكرها، ويضيف أن لولا نفسها أخبرته أنه لو كانت والدتها حية لما أحبت ذلك، فقد اعتادت أن تقرأ

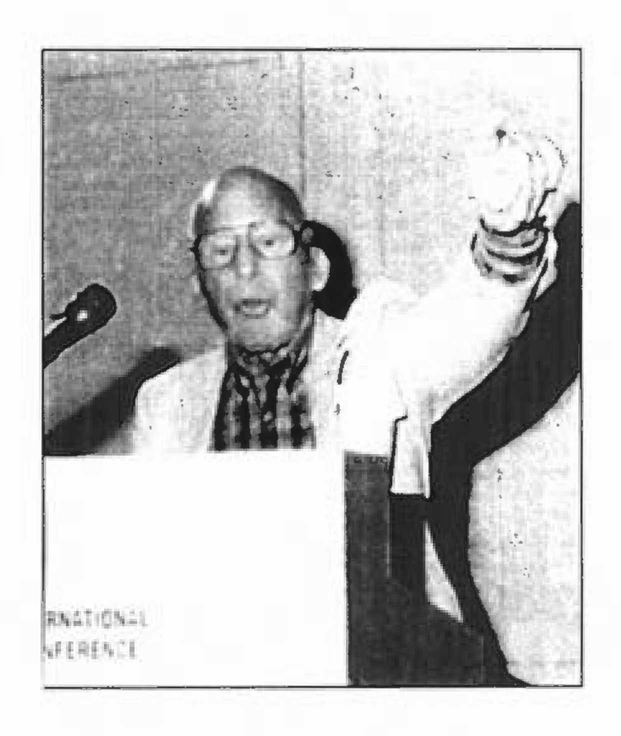
قول التوراة «عندما تكره.. تضر نفسك فقط وتضع حجابا على قلبك»، وبعد ذلك بشهور كان أحد حراس المعتقل وهو يهودي يضرب سجينا ألمانيا بالسوط، وينعته بأقذع الشتائم، لكن لولا أوقفت تعذيب الألماني، وسألت الحارس لماذا يعذبه؟ فأجاب بأنه يحتقر الألمان، فأشارت إلى أنه إذا كان يحتقر الألمان فيجب ألا يكون مثلهم، وبالنسبة إليها كان ذلك الحارس اليهودي لا يختلف كثيرا عن الحراس النازيين.

في ذلك الوقت لم تهتم لولا بالألمان السجناء، لكن اهتمامها كان يتركز على الحارس اليهودي، لأنه وبعد سنوات سيلقبه السجناء الألمان بالخنزير والكلب، وتدريجيا سيتحول إلى وحش آدمي، فيكون النازيون -كما كانت ترى لولا- قد ربحوا، لأنهم جعلوه مثلهم، فدعت جميع الحراس إلى مكتبها، وأبلغتهم بأنه من الآن فصاعدا سيتم معاملة الألمان مثل البشر، ومنذ ذلك الحين التزمت بهذا السلوك.

يذكر الكاتب تفاصيل بشعة عن التعذيب في السجن الذي تولت لولا مسئوليته... إحدى الضحايا عام ١٩٤٥ -لم تكن حتى ألمانية بل كانت طالبة طب بولندية في العشرين من عمرها- استمر الحراس في تعذيبها حتى تحولت بشرتها البيضاء إلى لون أزرق داكن، وعندما أرسلوها إلى زنزانتها سألتها زميلاتها عن ذلك الرداء الأزرق الذي ترتديه؟ قبل أن يدركن أن الرداء هو لون بشرتها بعد الضرب والتعذيب.

من جليفيتش تحرك جون ساك في اتجاه الغرب إلى بريسلاو ومن هناك إلى براغ حيث قال له أحد الحراس السابقين وهو يصف كيف اعتقل الألمان المتبقين بعد تقدم قوات الحلفاء «عدد الألمان الذين ماتوا في المعسكرات يفوق عدد من مات منهم في قصف دريسدن أو عدد من مات من اليابانيين في هيروشيما».. ويقول أحد

الألمان الناجين من المحرقة اليهودية في شهادته لجون ساك «على الرغم من أن عدد من مات من الألمان أقل بكثير من اليهود الذين ماتوا في المحرقة، إلا أن ما حدث لهم كان محرقة ثانية».



جون ساك يتحدث عن كتابه العين بالعين أمام المؤتمر الثالث عشر لمعهد المراجعة التاريخية الأمريكي عام ٢٠٠٠



ليست صورة لضحايا يهود من الهولوكست لكنها لأسرى حرب ألمان قتلوا في معسكرات اعتقال بولندية يديرها يهود



صورة آخر يهودي في فينيتسا وغيرها كانت كفيلة بتفجير
رغبة عارمة لدى اليهود من أجل الانتقام من النازيين



الأرشيف الألماني في كوبلنز



المدخل الرئيسي لمعسكرات الاعتقال في أوشيفتس كما يبدو الآن

الفصل الثالث

حصار الناشرين..
والقتل من اللحظة الأولى

◆◆◆



مدخل

الحقائق التي توصل إليها جون ساك مخجلة.. تقرير في سجل الكونجرس الأمريكي يؤكد «عثرنا في مبنى مجلس المدينة على ١٥٨٠ شهادة وفاة لمعتقلين في معسكر شفيتوشلوفيتش يحمل معظمها توقيع شلومو موريل»، وتقرير لوزارة الخارجية البريطانية يقول: «إن المعتقلين الذين لم يموتوا في المعسكر بسبب الجوع أو الضرب حتى الموت كانوا يجبرون على الوقوف ليلة بعد أخرى في مياه باردة حتى رقابهم إلى أن يموتوا»، لكن موريل هرب إلى إسرائيل حيث حظي بحماية جنسيتها، ورفضت تسليمه لبولندا لمحاكمته بحجة أن قانونها يعتمد مبدأ إسقاط تهم الإبادة الجماعية بالتقادم إذا كان الجاني إسرائيليا، أما إذا كان غير إسرائيلي وقتل يهودا فإنها لا تسقط عنه الاتهامات، بل إنها نفسها اختطفت مجرمين نازيين وحاكمتهم رغم تقادم جرائمهم!.. أما الحكومة الألمانية التي قتل مواطنوها أثناء تولي موريل المسئولية عن معتقل شفيتوشلوفيتش فوجهت إليه اتهاما ثم أوقفت الدعوى القضائية ضده بشكل غامض.. وحتى عندما طلب موريل أن يقدم شهادته إلى لجنة أرشيف المحرقة في إسرائيل بأنه انتقم لتعذيب وقتل اليهود بقتل «نازيين»، قرر رئيس اللجنة أن يحميه من نفسه واستبعد قصته باعتبارها «فانتازيا يهودية».

* بعد أن دفعت مؤسسة «جي كيو» ١٥ ألف دولار لجون ساك لم تنشر مقالته عن قائد معتقل يهودي وقالت له احتفظ بالنقود وابحث عن مكان آخر للنشر.

* مؤسسات صحفية محترمة مثل «مازر جونز» و«ذي نيويوركر» لم ترد على المؤلف أو رفضت مجرد الاطلاع على مقالته.

* دار نشر «بيزيك بوكس» نشرت كتاب «العين بالعين» لكنها لم تطرحه في

المكتبات لأن هناك من اشترى نسخه بـالجملة ودفع ثمنه كاملا حتى لا يراه القراء

* المؤلف ضاق من الناشرين فوضع أجزاء من الكتاب على موقعه الشخصي على شبكة الإنترنت لكن النسخة الإلكترونية اختفت بشكل غامض.

* وافق ستالين على انضمام كثير من اليهود البولنديين لقيادة جهاز أمن الدولة البولندي لأنه كان مقتنعا بأن ولاءهم لن يكون لبلدهم ولا للروس وإنما سيحرصون فقط على الانتقام من الألمان.

* في الشهور العشرة من تولي موريل معتقل شفينتوشلوفيتس مات ١٥٨٠ شخصا بينهم جنود ألمان وبولنديون مدنيون ونساء وأطفال ورجال من أصول ألمانية بسبب الأمراض والتعذيب الوحشي.

* في الليلة الأولى دخل موريل إلى أحد العنابر وراح يضرب المعتقلين الألمان بكرسي حديدي على رؤوسهم وصدورهم.

* يقول نص تقرير لوزارة الخارجية البريطانية في ١٩٤٥ إن «المعتقلين في معسكر شفينتوشلوفيتس الذين لم يموتوا من الجوع أو الضرب كانوا يجبرون على الوقوف ليلة بعد أخرى في مياه باردة حتى رقابهم إلى أن يموتوا».

* تقرير للكونجرس الأمريكي مؤرخ بعام ١٩٦٤ يؤكد «العثور في مبنى مجلس مدينة شفينتوشلوفيتس على ١٥٨٠ شهادة وفاة لمعتقلين تحمل توقيع شلومو موريل».

* عندما طلب موريل الاعتراف أمام لجنة أرشيف المحرقة في إسرائيل بأنه انتقم لتعذيب وقتل اليهود بقتل «نازيين» اعتبر رئيس اللجنة كلامه فانتازيا يهودية .

*** شلومو موريل.. اليهودي الوحيد في بولندا المتهم بتعذيب ستة آلاف معتقل جسديا ونفسيا والسماح بنشر الأمراض المعدية القاتلة عاش آمنا تماما في إسرائيل!**

*** بولندا طالبت إسرائيل بتسليم موريل لمحاكمته ثلاث مرات فرفضت بدعوى**

أن قوانينها تسقط التهم الموجهة بالتقادم.

* القانون الإسرائيلي يفرق بين المطلوبين للتحقيق في جرائم ضد اليهود والمطلوبين في الجرائم ضد الإنسانية أو جرائم الحرب أو القتل الجماعي.

* فلسفة التشريع في إسرائيل تسقط العقوبة عن الإسرائيلي الذي يقتل غير اليهود بالتقادم لكنها تؤبد عقوبة غير الإسرائيلي الذي يقتل يهودا!

* الحكومة الألمانية أصدرت عريضة اتهام لموريل لكنها اختفت في الطريق! والحكومة البولندية لم توجه له تهمة القتل رغم أن لديها شهود عيان رأوه يرتكب جرائمه واكتفت بتهم أخرى تسقط بموجب قانون التقادم.

متاعب النشر لا تنتهي

علم ساك بقصة شلومو موريل الذي كانت تربطه علاقة خاصة مع لولا بوتاك وكان قائد معسكر اعتقال آخر في بولندا.. ذات يوم جمع موريل مجموعة من السجناء الألمان وهددهم بالقتل إن لم يغنوا نشيدا نازيا.. وأثناء غنائهم بدأ في ضربهم بكرسي حديدي حتى الموت.

أعد ساك قصة موريل واتفق على نشرها لدى مؤسسة «جي كيو» التي دفعت له ١٥ ألف دولار ولم تنشر البحث وقال له المسئول عن التحرير احتفظ بالنقود وابحث عن مكان آخر للنشر، فذهب إلى مؤسسة «مازر جونز» ليعرض عليهم الموضوع فلم يرد عليه أحد، بينما رفضت مجلة «ذي نيويوركر» مجرد الاطلاع عليه.

لكن صحيفة «ذي فيلاج فويس» قبلت قصة شلومو موريل في عام ١٩٩٣ وفي العام نفسه نشرت دار نشر «بيزيك بوكس» كتابه «العين بالعين: القصة التي لم تنشر عن انتقام اليهود من الألمان في ١٩٤٥» الذي تأخر نشره كثيرا، والحقيقة أن الناشر أسرع بنشر الكتاب ليأتي مصاحبا لبث برنامج «سكستي منيتس» (٦٠ دقيقة) على شبكة تليفزيون سي.بي.إس الأمريكية «تفاصيل من قصة موريل».

وبنشر ذلك الكتاب لم تنته متاعب ساك فقد طعن بعض الصحفيين في مصداقيته وكتبوا عروضا للكتاب تحت عناوين على شاكلة «الكذبة الكبرى مستمرة» و«شاهد مزيف» و«لم يحدث شيء من ذلك». ورغم ذلك نشرت قصة شلومو موريل في تل أبيب ونشرت في الولايات المتحدة في برنامج سيكستي مينتس ونيويورك تايمز.

أحد كتاب مجلة «يو. إس» أكد أن هناك دروسا ينبغي تعلمها من ذلك البحث أولها: «كيف نقول للآخرين.. الألمان والصرب والهوتو إن ما فعلوه أو يفعلونه خطأ، ونحن نرتكب نفس الخطأ بتسترنا وسكوتنا على ما حدث في الهولوكست الذي أداره يهود».

يقول ساك «كيف فعل الألمان ذلك؟ إلى أن نعرف السبب ستستمر المحارق.. إذا كرهنا وتصرفنا بناء على الكراهية سنواجه بمزيد من الكراهية. كل منا بداخله ما يمكن أن يجعله نازيا».

الحقيقة أن إهداء المؤلف جون ساك في صدر الكتاب يلخص دافعه من تأليفه وإصداره، فقد أهداه «إلى كل الذين ماتوا وإلى كل الذين يمكن أن يعيشوا بسبب هذه القصة».. يدافع ساك عن هدفه من تأليف الكتاب، فيذكر القارئ بأنه صحفي مهمته إظهار الحقائق، وأنه يهودي والتوراة تحثه على عدم السكوت على الظلم، وإلا أصبح مشاركا فيه، لكن ذلك الهدف النبيل لم يلق اهتمام كثير من الصحف الأمريكيةالتي تعنى عادة بنشر عروض للكتب الجديدة، فصحيفة «نيو ريبابليك» نشرت فقط إعلانا واحدا مدفوعا حول الكتاب، لكنها امتنعت عن نشر المزيد بعد ذلك، بل إن ليون فيسيلتير المحرر الأدبي لصحيفة «نيو ريبابليك» كتب في مقال بواشنطن بوست بعد أن صدر الكتاب بوقت قليل إنه «واحد من أغبى الكتب التي قرأتها على الإطلاق وأنا مصر بصراحة على تدميره بقدر ما في استطاعتي»، وعندما نشر الكتاب لم تنشر واشنطن بوست ولا نيويورك تايمز عرضا له، ودفع هذا العزوف عن الإقرار بوجود الكتاب مجلة نيويورك لنشر مقال في مايو ١٩٩٤ عنوانه

«الكتاب الذي لا يجرؤ أحد على عرضه»، وذكر صاحب المقال جون لومباردي أن «مؤرخين بارزين هما إستيفان ديك وأرنو ميبر تحققا من أن كل أنواع الجرائم التي ذكرها ساك في كتابه قد حدثت بالفعل».

وفي النهاية نشرت صحيفة ليبرالية هي «ذي نيشن» مقالا عن الكتاب بقلم المؤرخ جون وينر لكنه احتوى على تصريحات لكل من ديك وميير بدا كما لو كانا يتراجعان عما قيل على لسانيهما في مجلة نيويورك، وكانت خلاصة كلام وينر أن ساك «حرَّف التاريخ وكتبه وفقا للعواطف والأحاسيس» وأضاف وينر أنه بالرغم من أن ساك يستحق التقدير لعثوره على قصة مهمة والبحث فيها إلا أن نقص مهارته جعله مؤرخا عاجزا».

في المجلة الصهيونية المتطرفة «نيو ريبابليك» هاجم دانييل جولدهاجن من كلية هارفارد ومؤلف كتاب «منفذو أحكام هتلر بالإعدام» ساك شخصيا واتهمه «بالتلفيق وإخفاء أرقام وبيانات ذات علاقة.. وبالتصوير الروائي وعدم الاهتمام بالعثور على دليل مادي».

وعندئذ قبلت صحيفة هارفارد كريمسون إعلانا عن الكتاب يتحدى فيه ساك جولدهاجن لإجراء مناظرة ولم يقبل جولدهاجن التحدي، وكان اهتمام ساك بالتحدث في متحف المحرقة سببه الدعوة التي وجهت لجولدهاجن في أبريل ١٩٩٦ للحديث عن أن «معظم الشعب الألماني كانوا مشاركين بإرادتهم في المحرقة، وأن جرائمهم متجذرة في التاريخ والثقافة الألمانيتين»!

يقول ساك «إنني أقول عكس ما يقوله جولدهاجن تماما وهو أنه لا يجب أن تكون ألمانيا لكي تفعل ما فعلوه.. عندما أرى مثل هذه الدعاية الخاطئة مائة بالمائة توجه إلى شعب أو شخص معين لا بد أن أكون حريصا على تفنيدها ونقدها بالطبع».

في المؤتمر الذي عقده ساك في نادي الصحافة قال إن دار نشر بايزك بوكس طبعت ١٧ ألف نسخة من كتابه لكن هذه النسخ لم توزع في المكتبات، ورفض ساك إرجاع السبب في ذلك إلى الرقابة، وإنما إلى نزوات تجار الكتب، في إشارة غير مباشرة إلى أن هناك من دفع للناشر لكي لا يوزع الكتاب في الأسواق أو اشترى النسخ بالجملة بسعر كبير ليمنع نزولها إلى الأسواق.

ولذلك حاول ساك شراء حقوق النشر من بايزك بوكس، وقال وقتها «إذا تأكدت من أن الناشر حاول إبعاد الكتاب عن السوق عمدا سأتخذ إجراءات قانونية ضده، وإذا لم أسترد حقوق النشر سأضع مادة الكتاب على شبكة الإنترنت مجانا».

وبعدها وضع ساك أجزاء من الكتاب باللغة الإنجليزية على موقعه الشخصي على شبكة الإنترنت، وظل متاحا لفترة من الوقت، إلى أن اختفي محتوى الكتاب من على الصفحة بعد وفاة ساك عام ٢٠٠٤ بقليل.

ناج يتحول إلى قاتل

كان أحد الأوامر التي صدرت بعد أن زحفت الدبابات السوفييتية على بولندا لتوقع هزائم متوالية بالجيش الألماني في فبراير ١٩٤٥ هو إلقاء القبض على جميع من تبقى من الألمان وفي مقدمتهم المتعاطفون مع النازيين وعملاؤهم ووضعهم في نفس المعتقلات التي استخدمها الألمان أثناء الحرب، ومن بين ما تبقى شاهدا على جرائم النازية معسكر اعتقال شفينتوشلوفيتس الذي بناه الألمان دون أن يعرفوا أنهم سيكونون نزلاء فيه يوما ما، وانقلبت الأوضاع رأسا على عقب، وأصبح المعتقلون في شفينتوشلوفيتس ألمانا وأصبح قائد المعسكر وسجانه الأول يهوديا بولنديا اسمه شلومو موريل.

ولكن كيف انتهى الحال بيهودي أن يصبح موظفا كبيرا في جهاز أمن الدولة البولندية ويدير معتقلا للألمان؟ ألم يكن معظم اليهود البولنديين، أي أكثر من ثلاثة

ملايين منهم، قد قتلوا في نهاية الحرب العالمية الثانية في معسكرات مثل الأوشفيتس وتريبلينك وكثير من الذين نجوا هربوا بمجرد انتهاء الحرب؟ عن السؤال يجيب جون ساك بقوله «نعم التحق بعض اليهود البولنديين مثل موريل بوظائف مهمة في بوليس ستالين السري.. فستالين لم يكن يثق في البولنديين ورأى أن ولاءهم سيكون لبلادهم وليس للروس أو الاتحاد السوفيتي، أما اليهود فليس لديهم ولاء لبولندا، وكان هذا حقيقيا. ولا أعرف إن كان لديهم ولاء لستالين أم لا ولكنهم أرادوا الانتقام.. فقط أرادوا الانتقام، وهذا هو السبب».

قتل منذ الليلة الأولى

ويكمل جون ساك «شلومو موريل مارس الانتقام بأبشع صوره، فخلال الشهور العشرة التي أدار فيها موريل معتقل شفينتوشلوفيتس مات ١٥٨٠ شخصا بينهم جنود ألمان وبولنديون مدنيون ونساء وأطفال وأفراد من أسر ذات أصول ألمانية أو يشتبه في تعاطفهم مع النازي، ومات معظمهم نتيجة المرض والظروف السيئة التي وضعوا فيها وكثيرون ماتوا نتيجة التعذيب الوحشي والضرب السادي تحت إشراف شلومو موريل ومسئولي السجن».

في الليلة الأولى عندما وصلت أول مجموعة من الألمان وفي حوالي الساعة العاشرة مساء دخل إلى أحد العنابر وقال للألمان «اسمي موريل، وأنا يهودي، أمي وأبي وجميع أفراد أسرتي ماتوا، وأقسم إنني لو مت سأعود لألاحقكم أيها النازيون، والآن حان الوقت لكي تدفعوا ثمن ما فعلتم».. هذه الشهادة حصل عليها جون ساك من أحد الذين سمعوها عندئذ داخل المعسكر.. «وبعد ذلك أمسك موريل بكرسي من الحديد وبدأ في ضرب الألمان به وكان حريصا على أن يضربهم على رؤوسهم أو صدورهم».

بعد مهمته في معسكر شفيتوشلوفيتش انتقل شلومو موريل إلى قيادة معسكر

جافورزنو الذي كان يركز على اعتقال البولنديين، وكان به شباب وصبية في الخامسة عشر والثامنة عشر من عمرهم.. بولنديون وألمان وليتوانيون تعرضوا للتعذيب والقتل، وقد تشكلت مجموعة من الناجين من هذين المعسكرين للتذكير بقضيتهم والمطالبة بحقوقهم وحقوق الضحايا الآخرين.

اعتمد ساك في روايته للقصة على مقابلات مباشرة مع الناجين من المعسكر وشهادات خطية مكتوبة تحت القسم لواحد وعشرين من السجناء السابقين بالمعسكر وهي موجودة في ملف بالأرشيف الاتحادي الألماني، وبعد الحرب لم يكن العالم يريد أن يسمع شيئا عن معاناة الألمان فترك للحكومة الألمانية أن تحقق في ما حدث لثلاثة ملايين من الألمان ماتوا في بولندا وتشيكوسلوفاكيا ودول أخرى في شرق أوروبا وكان ساك قد علم بأمر تلك الشهادات الخطية أثناء بحثه في كتاب عن اليهود في بولندا بعد الحرب.

الاعتراف سيد الأدلة

إلى جانب الشهادات هناك تقرير من وزارة الخارجية البريطانية كتب عام ١٩٤٥ يقول إن «المعتقلين في معسكر شفينتوشلوفيتس الذين لم يموتوا من الجوع أو الضرب حتى الموت كانوا يجبرون على الوقوف ليلة بعد أخرى في مياه باردة حتى رقابهم إلى أن يموتوا»، وجاء في تقرير مشابه موجود في سجل 'الكونجرس مؤرخ بعام ١٩٦٤: «عثرنا في مبنى مجلس المدينة على ١٥٨٠ شهادة وفاة لمعتقلين في المعسكر معظمها يحمل توقيع شلومو موريل».

حسب الرئيس السابق للجنة أرشيف المحرقة في إسرائيل صمويل كراكوفيسكي طلب موريل أن يقدم شهادته للجنة وقال إنه كان قائد معسكر اعتقال عقب الحرب وأنه انتقم لتعذيب وقتل اليهود بقتل «نازيين»، لكن رئيس اللجنة قال إن موريل كان يريد أن يظهر نفسه كبطل «واستبعدت قصته باعتبارها فانتازيا يهودية».

ويقول الصحفي جون ساك إن جميع مجلات نيويورك ومؤسسات النشر فيها رفضت نشر قصة موريل بحجة أنها «محل خلاف كبير أو حساسة أو غير مناسبة»، وكان ذلك أكبر مشكلة واجهته في الموضوع، يقول «هناك أشخاص رفضوا التحدث معي، وآخرون حذروا الشهود من أن يتحدثوا معي، وهناك من تحدثوا معي وكذبوا علي، وهناك شخص تحدث معي ساعتين ونصف الساعة ثم قال «لا أريد أن تكتب ذلك، وإن كتبته سأمنعك، وقال آخرون إنهم سينتقمون مني، وقال آخرون إنهم سيقتلونني، وشلومو أقسم أنه سيقتلني».

وأخيرا نشر ساك القصة في «نيويورك فيلاج فويس» وحدد عدد الضحايا ما بين ٦٠ ألف و٨٠ ألف معتقل ألماني قتلوا على أيدي قوات الحرس اليهودي (البولندي) عقب المحرقة الأوروبية في الحرب العالمية الثانية.

البولنديون تحققوا من الوقائع

بدأت السلطات البولندية التحقيق في قضية شلومو موريل عام ١٩٩٢ والذي يعتبر اليهودي الوحيد في بولندا المتهم بتعذيب وقتل ألمان عقب هزيمتهم في ١٩٤٥، وتأكدت السلطات من أن موريل كان بالفعل قائد معسكر اعتقال شفينتوشلوفيتس جنوب بولندا ما بين فبراير ونوفمبر ١٩٤٥ وأنه أصدر أوامر بتعذيب وقتل ١٥٣٨ ألماني وبولندي كانوا معتقلين في المعسكر.

وهرب شلومو عقب بدء التحقيق إلى إسرائيل وتختلف المصادر في تحديد سنة هروبه ما بين أعوام ١٩٩٢ و١٩٩٣ و١٩٩٤، وبعد أن نشر جون ساك قصة شلومو موريل لأول مرة حاول كثير من الصحفيين إجراء مقابلات صحفية مع موريل، فلم يجدوا غير رد واحد من ابنته «أبي لا يريد إجراء حوارات هو يؤلف كتابا عن القصة كلها»، ولم يظهر ذلك الكتاب على الإطلاق حتى وفاته.

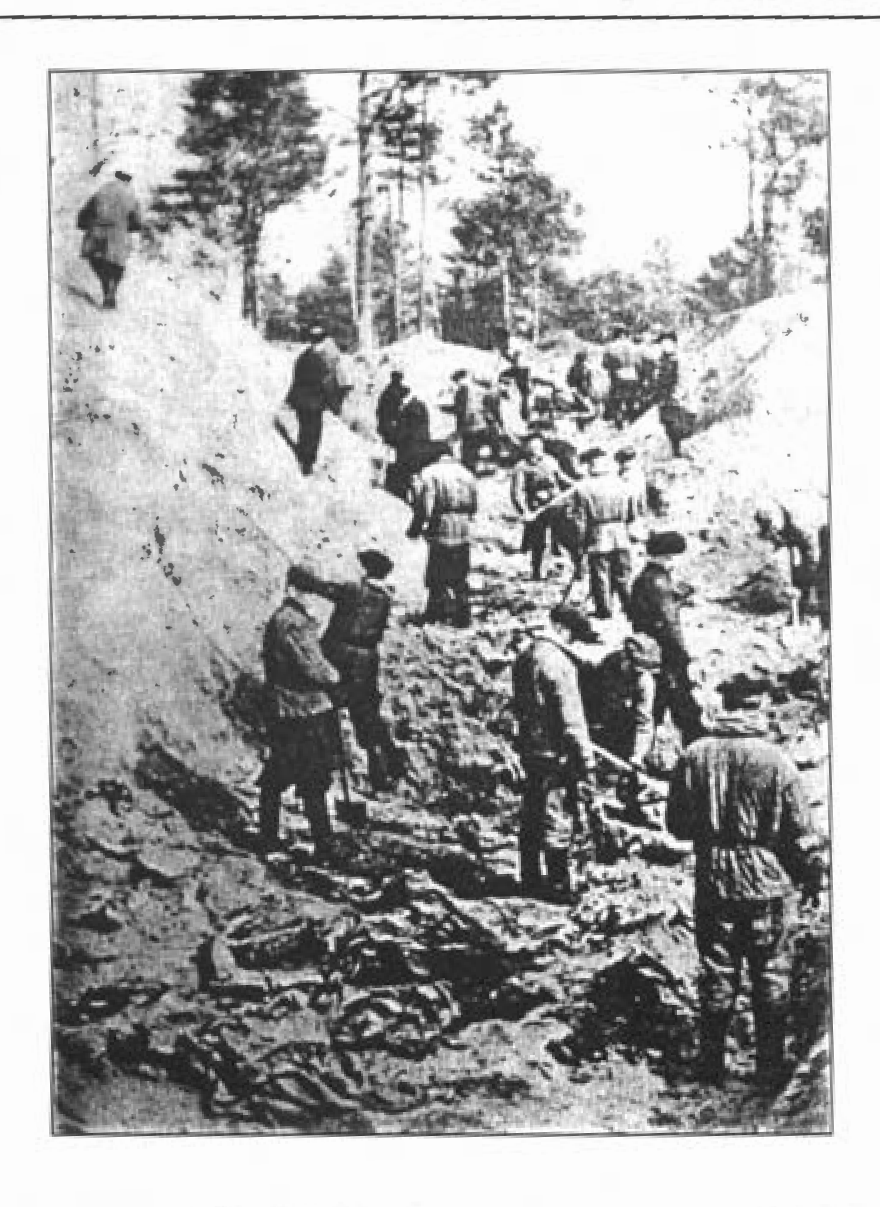
وقد رفضت وزارة العدل الإسرائيلية في ديسمبر ١٩٩٨ طلبا من السلطات

البولندية بتسليمه إليها في أبريل من العام نفسه، وجددت بولندا قرب نهاية أكتوبر ٢٠٠٣ محاولة المطالبة بتسليمه عندما طالب المدعي العام البولندي ممثلا في مؤسسة الذكرى الوطنية البولندية (آي.بي.إن - وهي هيئة معنية بجرائم الحرب) في ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٣ من محكمة في كاتوفيتش جنوب بولندا إصدار أمر مؤقت باعتقال وتسليم شلومو موريل، وإصدار المحكمة أمر الاعتقال يتيح لوزير العدل البولندي بأن يرسل طلب تسليم إلى إسرائيل.

وتفترض أدلة قائمة على شهادات جديدة جمعت أثناء تحقيق مطول لمؤسسة الذكري الوطنية البولندية أن موريل استخدم كلا من التعذيب الجسدي والنفسي ضد نحو ستة آلاف معتقل في المعسكر بما في ذلك الضرب والتجويع وهو متهم أيضا بالسماح بنشر الأمراض المعدية القاتلة في المعسكر.

حجة إسرائيل في عدم تسليم شلومو هي أن التهم الموجهة إليه سقطت بالتقادم استنادا إلى القانون الإسرائيلي الذي يفرق بين المطلوبين للتحقيق في جرائم ضد اليهود والمطلوبين في الجرائم ضد الإنسانية أو جرائم الحرب أو القتل الجماعي وهو ما يؤكد بوضوح أن «فلسفة التشريع الإسرائيلي» تفرق بين الإسرائيلي الذي يقتل غير اليهود وبين غير الإسرائيلي الذي يقتل يهودا.

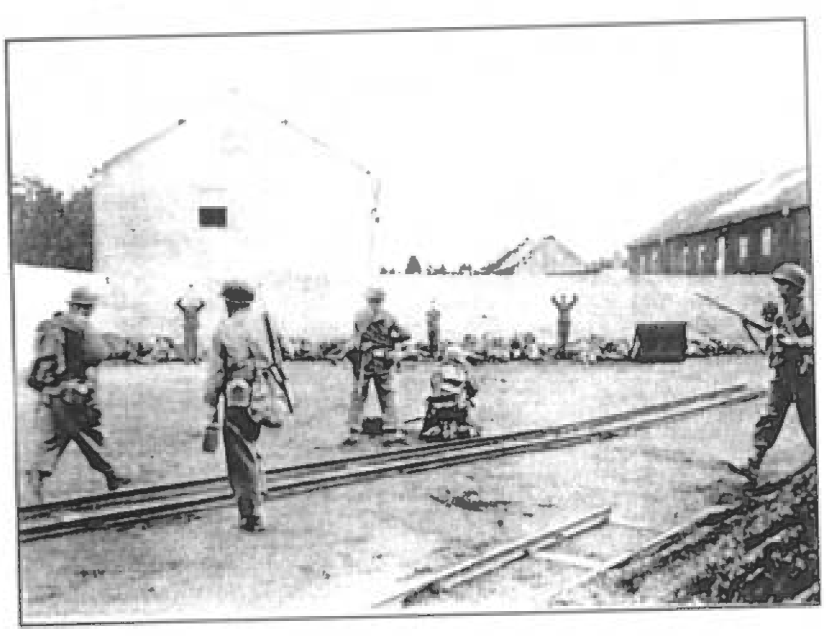
ويرى جون ساك أن «الحكومتين الألمانية والبولندية لم تسعيا بقوة من أجل ترحيل موريل من إسرائيل لمحاكمته، فبعد أن وجهت الحكومة الألمانية اتهاما له اختفت الدعوى في الطريق! أما الحكومة البولندية فتصرفت بشكل غريب بالفعل.. كان بمقدورها أن تتهمه بقتل مواطنين على أراضيها، حيث أن لديها شهود عيان رأوه يرتكب جرائم قتل، لكنها اتهمته فقط بالوحشية وأمور أخرى تسقط بموجب قانون التقادم في عام ١٩٦٥».



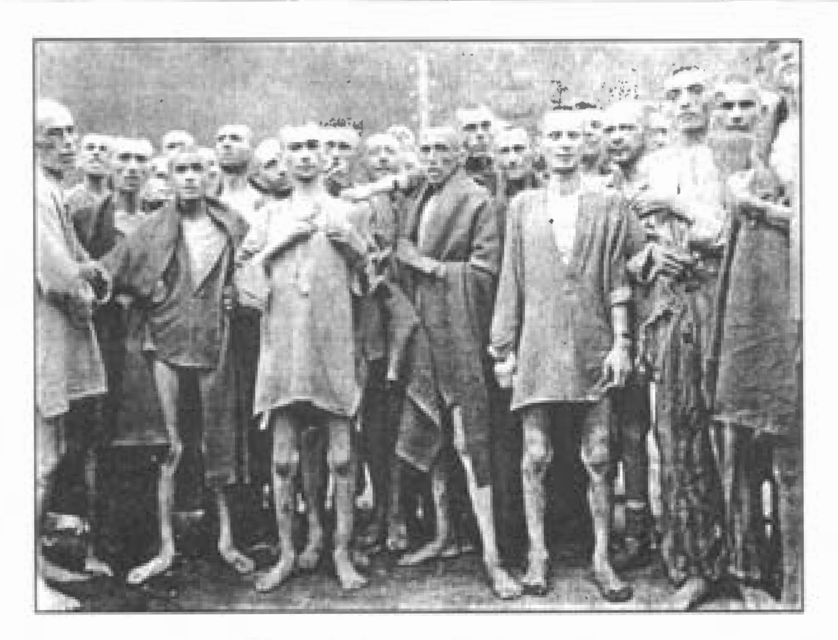
مقبرة جماعية في غابة كاتين ببولندا تمت بأوامر السلطات السوفيتية في ١٩٤٠



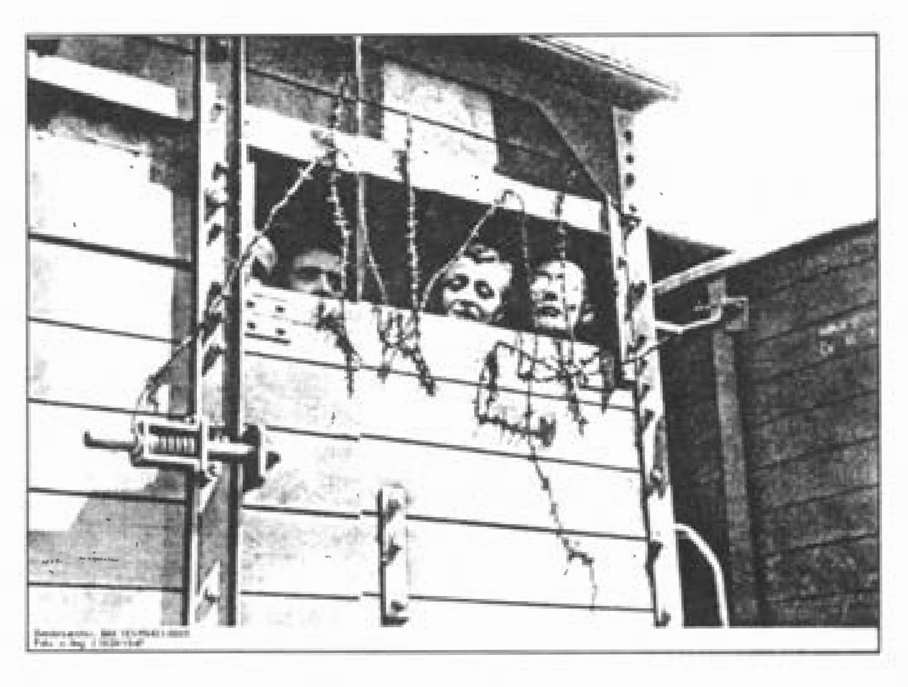
مقبرة جماعية لجنود ألمان من معسكر اعتقال ديلن ببولندا عقب اجتياح السوفييت



مشاهد معسكرات العمل الألمانية تكررت تقريبا عندما
انقلبت الأوضاع واستبدل السجانون والمساجين أماكنهم



من معسكر إيبنزي الألماني ١٩٤٥



أحد مشاهد الترحيل لمدنيين ألمان في بولندا (المصدر الأرشيف الاتحادي الألماني)



لولا بورتوك



موريل في شبابهِ



موريل في شيخوخته

الفصل الرابع

الضحايا ألمان والأدلة دامغة .. والقتلة يتمتعون بالحماية



مدخل

بولندا أرض المعتقلات.. منذ نهاية الحرب العالمية الأولى كانت مسرحا لمعسكرات اعتقال ضمت مواطنين من الأقلية الألمانية، ووصلت حالة العداء إلى أعمال تطهير عرقي، ويرجع بعض المؤرخين اجتياح جيوش هتلر لبولندا في بداية الحرب العالمية الثانية إلى دافع الانتقام مما حدث من مذابح لألمان في بولندا، فأقام فيها معسكرات اعتقال للبولنديين، ومع زحف السوفييت على وارسو قبيل نهاية الحرب انقلبت الآية، وشهدت بولندا عمليات ترحيل جماعية وتطهير عرقي للألمان، وتشير بيانات المكتب الإتحادي الألماني للإحصائيات إلى أن عدد الألمان الذين ماتوا في بولندا حتى ذلك الحين بلغ ١٨٥ ألفا، وفي منطقة دانتسيج بلغ العدد ٨٣ ألفا وفي المناطق الألمانية سابقا شرق خط أودر- نيسه نحو مليون و٣٣٩ ألفا.. ليكون الإجمالي مليون و٦٠٧ ألف شخص.. ومن المنطقي إذن أن يشارك اليهود المتعاونون مع جهاز الأمن البولندي في تلك العمليات.. وتشير مصادر إحصائية ألمانية وبولندية إلى أن عدد الضحايا الألمان على يد اليهود أكبر من تقديرات جون ساك، فنسبة الوفيات في بعض تلك المعسكرات كانت تصل إلى ٨٠ في المئة.. أما الأمر الأكثر تراجيدية في تلك المأساة الأوروبية فهو ازدواج المعايير عند محاسبة المجرمين!

* العرب ليسوا وحدهم الذين يتحدثون عن ازدواج المعايير الغربية في التعامل مع كل ما يخص إسرائيل.

* رفض إسرائيل تسليم شلومو لبولندا لمحاكمته أثار اتهامات لحكومات غربية بالعجز أمام العجرفة الإسرائيلية وللمجلس اليهودي العالمي بالتواطؤ لتغطية

جرائم ضد الإنسانية.

* بريطانيا رفضت تسليم يهود متهمين بجرائم ضد الإنسانية بحجة أن الاتهامات معادية للسامية!.

* هيلينا بروس متهمة بالاشتراك في محاكمات صورية واعتقال وقتل عدد من قيادات المقاومة البولندية ضد النازية، وقد رفضت الداخلية البريطانية تسليمها بدعوى تقدمها في السن ومضي ٥٠ عاما على الجرائم المتهمة بها.

* معسكرات اعتقال الألمان في بولندا بدأت منذ الحرب العالمية الأولى وما حدث فيها من مجازر كان أحد دوافع هتلر لاجتياح بولندا.

* اعتراضات الصليب الأحمر الأمريكي ومناشدات سينانور نورث داكوتا والسفير البريطاني ومطالبات رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل لم تنجح في إقناع الحكومة البولندية بالالتزام باتفاقية جنيف.

* الأرقام الحقيقية أعلى من تقديرات جون ساك فنسبة الوفاة في بعض المعسكرات كانت ٨٠ في المئة من المعتقلين.

* بيانات المكتب الاتحادي الألماني للإحصائيات تقول إن عدد الألمان الذين ماتوا في بولندا حتى ١٩٤٥ بلغ مليونا و٦٠٧ ألف شخص.

* برنامج سكيستي مينتس عثر على أدلة دامغة تدعم تحقيق ساك حول جرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب التي ارتكبها يهود زمن الحرب العالمية الثانية.

* مراسل سكيستي مينتس «أجرينا لقاءات مع شهود آخرين غير شهود ساك أو الشهود الذين يحتفظ أرشيف ألمانيا الاتحادية بشهاداتهم وسمعنا القصص نفسها مرات ومرات.

الحقيقة أن العرب ليسوا وحدهم الذين يتحدثون عن ازدواج المعايير «الإسرائيلية والغربية» في التعامل مع كل ما يخص إسرائيل، ففي مجلة تورنتو ستار

الكندية كتب ستيفان ليميزفسكي تعليقا على رفض إسرائيل تسليم الرجل بناء على مطالبة أقارب الضحايا بمحاكمته، فقال «يا لها من مفاجأة أن تقرأ عن ازدواج المعايير في إسرائيل، فهي تطلب من أمريكا تسليم جون ديميانيوك وتقيم محاكمة استعراضية على المسرح على سبيل الدعاية المؤثرة من أجل تسليمه، ولكن عندما يصل الأمر إلى تسليم متهم بجرائم ضد الإنسانية يعيش في إسرائيل مثل شلومو موريل تعمل قانون التقادم وتواصل إيواء المتهم، والحكومة الكندية تستجيب لضغوط إسرائيل، وتدفع لها ملايين الدولارات وتنفذ سياسات الإبعاد في حق المتهمين بارتكاب جرائم النازية المقيمين على أراضيها مثلما فعلت عام ١٩٨٧ على سبيل المثال، إنه أمر بلا معنى».

وكتب كالجاريان بوريس سيدورك في الهيرالد تربيون «رفض إسرائيل تسليم شلومو لبولندا من أجل محاكمته وحمايته تحت دعوى قانون التقادم مسألة لا يمكن الدفاع عنها، كيف تقبل مؤسسات مثل مركز سيمون فيزنتال وبناي بيرث والمجلس اليهودي العالمي -التي عزفت كالأوركسترا حملات لتقديم مجرمي الحرب النازيين إلى المحاكمة- بهذا التحدي الصارخ».

بريطانيا رفضت تسليم يهود متهمين بجرائم ضد الإنسانية

وكذلك فعلت بريطانيا أيضا فقد رفضت تسليم «هيلينا فولينسكا- بروس» (١٩١٩-٢٠٠٨) التي طالبت بولندا بتسليمها لمحاكمتها بتهم مشابهة في ظل الحكم الشيوعي، لكن الرفض البريطاني كان تحت دعاوى مختلفة من بينها أن الاتهامات «معادية للسامية»، أو أنها سقطت بالتقادم أو لأسباب إنسانية نظرا لتقدم سن المتهمة.

وهيلينا فولينسكا- بروس كانت تحمل عند ولادتها اسم فاجيا ميندلا دانيلاك، وعملت مدعيا عاما عسكريا في بولندا برتبة عقيد، وشاركت في محاكمات صورية في

الخمسينات، وتورطت في اعتقال وقتل بعض قيادات المقاومة البولندية ضد النازية.

وفي الفترة من ١٩٩٩ حتى ٢٠٠٨ طالبت السلطات البولندية بريطانيا بتسليم هيلينا لمحاكمتها في بولندا، حيث وجهت لها لجنة التحقيق في الجرائم ضد الأمة البولندية اتهاما رسميا بالمشاركة في «جريمة قتل» تصنف كجريمة إبادة جماعية ويعاقب عليها القانون بالسجن عشر سنوات، واتهمت أيضا بجرائم أخرى من بينها إصدار أمر اعتقال غير قانوني وإجراء تحقيق ومحاكمة للقائد العسكري البولندي إميل أوجست فيلدورف، وهو القائد الأسطوري لجيش المقاومة السرية البولندية أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد أعدم فيلدورف في ٢٤ فبراير ١٩٥٣ ولم تر عائلته جثته، وتوصلت السلطات الشيوعية في تقرير لها عام ١٩٥٦ إلى أن هيلينا فولينسكا- بروس قد انتهكت سيادة القانون بمشاركتها في تحقيقات غير عادلة وتشكيل محاكمات غير قانونية أدت لإعدام أبرياء.

وولدت هيلينا فولينسكا- بروس لعائلة يهودية بولندية في وارسو، وتزوجت من فرانسيتسك جوزفياك، قائد الحرس الشعبي وأول قائد لأمن الدولة (الجيش المدني) في بولندا الشيوعية، وكان زوجها الأول فلودزيميرز بروس (المولود باسم بنيامين زيلبربيج) قد أبعد عنها في زمن المحرقة، لكنهما التقيا ثانية في ١٩٤٤ وتزوجا من جديد في ١٩٥٦، وكان اقتصاديا ماركسيا وعضوا في الحزب السياسي الحاكم في بولندا الشيوعية «حزب العمال المتحدين» حتى عام ١٩٦٨.

وغادرت هيلينا وزوجها بولندا عام ١٩٦٨ بعد الأزمة السياسية البولندية السياسية في ذلك العام وقضت بقية حياتها في المملكة المتحدة حيث حصلت على الجنسية البريطانية، وتوفي زوجها بروس الذي عمل أستاذا للاقتصاد في جامعة أوكسفورد في ٢٠٠٧، وعاشت هيلينا في أكسفورد.

وقد قدمت بولندا (وتحديدا المعهد الوطني للذكرى والمدعي العام البولندي)

طلبين رسميين لتسليم هيلينا بروس في عامي ١٩٩٩ و٢٠٠١، ورفضتهما وزارة الداخلية البريطانية بحجة أن المتهمة أصبحت متقدمة في السن وأن الجرائم المتهمة بارتكابها انقضى عليها ٥٠ عاما.

في حوار مع صحيفة صنداي تلجراف قالت هيلينا إنها لن تعود إلى «البلد الذي شهد المحارق في أوشفيتز وبيركيناو»، وادعت أنها لن تلقى محاكمة عادلة في بولندا، ورغم تورطها في جرائم عهد ستالين طالبت بنسيان تلك الفترة من حياتها، وقالت «لا تزعجوني بهذه الادعاءات السخيفة»، وفي المقابل انتقدت الحكومة ووسائل الإعلام البولندية عدم التزام بريطانيا بتسليمها وفقا للقانون الدولي.

وفي ٢٠٠٤ انضمت بولندا للاتحاد الأوروبي، بما يسمح بإجراءات تسليم المتهمة أوروبيا، وفي يناير ٢٠٠٦ رُفض طلب استدعائها، وفي آخر ذلك العام أسقط الرئيس البولندي ليش كاتشينسكي الجائزة التي كانت السلطة الشيوعية في بولندا قد منحتها لها عام ١٩٥٤، وفي ٢٠٠٧ طلبت لجنة التحقيق في الجرائم ضد الأمة البولندية من المدعي العام إصدار أمر اعتقال أوروبي ضد هيلينا، فصدر في ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٧ ليكون ثالث محاولة لتسليمها.

وتوفيت هيلينا بروس في ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٨ في أكسفورد بالمملكة المتحدة، ودفنت سرا في ٣ ديسمبر ٢٠٠٨، ولم يحضر جنازتها سوى عدد محدود من أفراد أسرتها.

ويرى الكاتب جون ساك أنه بغض النظر عن ضرورة تقديم المتهمين بتلك الجرائم من أمثال شلومو موريل وهيلينا بروس إلى المحاكمة من أجل معاقبتهم، هناك هدف نبيل هو الكشف عن الحقائق كاملة، وأن يشعروا بالندم وأن يعتذروا على ما اقترفوه على أقل تقدير.

بولندا وطرد الألمان

بعد الحرب العالمية الأولى استمرت الدولة البولندية في استخدام معسكر أسرى

الحرب في «تسيتسي-بيورنو» الألماني السابق كمعتقل للمواطنين الألمان المدنيين الذين بقوا في موطنهم الأصلي بالمناطق التي كانت تابعة من قبل للرايخ الألماني (حتى ١٩١٨) داخل بولندا، وكذلك الحال أيضا في معسكر شترالكوفو، وشهدت تلك المعسكرات أسوأ انتهاكات لحقوق الإنسان ووقائع تعذيب لا آدمية مماثلة لما كان يتم في معسكرات العمل الألمانية، وكان ما حدث من مجازر لكثير من الألمان فيها أحد دوافع هتلر لاجتياح بولندا في الحرب العالمية الثانية.

وبعد عام ١٩٢٦ أقيمت معسكرات عمل أخرى من بينها معسكر بيرتزا-كارتوشكا وبرست-ليتوفيسك، ليس فقط من أجل الألمان بل أيضا للأوكرانيين وغيرهم من الأقليات في بولندا بمن فيهم المعارضين البولنديين، ولا توجد أرقام رسمية محددة عن أعداد من اعتقلوا وقتلوا في تلك المعسكرات.

ومنذ بداية الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩ أقيمت معسكرات أخرى للألمان في مناطق مثل خودزين، وفي تلك الفترة تصاعد التطهير العرقي وحملات الاعتقال الجماعي للأقليات الألمانية (في بولندا)، ما أدى إلى نزوح عشرات الآلاف منهم من تلك المناطق، وفي ١١٣١ نقطة تمركز للأقليات الألمانية في بوزين وبوميريلين تم اقتياد الآلاف منهم إلى المعسكرات.

وبعد هجوم الجيش الألماني في الأول من سبتمبر ١٩٣٩ حدثت جائحة ما يسمى الأحد الدامي في برومبيرج في ٣ سبتمبر ١٩٣٩.

وبعد الحرب العالمية الثانية، وفي سياق طرد المواطنين الألمان من مناطق الرايخ الألماني التي كانت خاضعة عندئذ للإدارة البولندية وتابعة لبولندا منذ ذلك الوقت، أقيم ١٢٥٥ معسكر اعتقال مثل توستشيك ولامسدورف وبوتوليس وشفينتوشلوفيتس، تراوحت نسبة الوفيات داخلها ما بين ٢٠ و٥٠ بالمئة، ولم يكن معسكر توستشيك تابعا لإدارة بولندية بل للسوفييت، وفي تلك المعسكرات

مورست أبشع عمليات التعذيب والقتل المنهجي، ومن بين الحالات المعروفة ما حدث في المعسكرات الثلاث التي تولى قيادتها لولا بوتوك وتشيسلاف جيبورسكي وشلومو موريل.

ولم يقتصر الاعتقال على «المجرمين النازيين» بل شمل السكان الألمان الذين لم يمكنهم الهرب بسرعة في ١٩٤٥، فلم يكن سبب الاعتقال ارتكاب جريمة فردية، بل لمجرد أنهم ألمان أو يتحدثون اللغة الألمانية، وكان يتم اقتياد سكان قرى بأكملها من الرضع حتى كبار السن إلى المعسكرات، ليتعرضوا للقتل المباشر أو التجويع حتى الموت، ولم يشفع لبعضهم حتى أنهم يمتلكون الجنسية البولندية.

ولم تفلح اعتراضات الصليب الأحمر الأمريكي ولا مناشدة السيناتور الأمريكي لانجر من نورث داكوتا والسفير البريطاني بينتينك ولا حتى مطالبة رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل للحكومة البولندية بالالتزام باتفاقية جنيف والقانون الدولي.

الأرقام الحقيقية أعلى من تقديرات جون ساك

عن أعداد الألمان الذين قتلوا في بولندا وحدها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية يقول جون ساك إن «عدد المدنيين الألمان الذين قتلوا في بولندا يتجاوز ضحايا القنابل التي سقطت على درسدن، ويتجاوز الضحايا اليابانيين في هيروشيما، والأمريكيين في بيرل هاربر، ويتجاوز حتى أعداد اليهود الذين قتلوا في مذابح بولندا.. هذا ما علمته الآن، وأصابني بالرعب».

«... عدد السجون ومعسكرات الاعتقال البولندية بعد الحرب العالمية الثانية في سليسيا وحدها يقدر – حسب جون ساك بـ ٢٠ إلى ٣٠ معتقلا، في مدن وبلدات بيدزين وبويتن وبيليتس زبيلسكو-بيالا وبيرسلاو وتشينشتوخاو وجلايفتس وهيندينبورج وجاسترتسيبي وكاتوفيتس وكونجسشيته وفي لامسدورف (كان أحد

أسوأ المعتقلات حيث اعتقل ٨٠٦٤ شخصا بينهم ٨٢٨ طفلا - قتل منهم ٦٤٨٨) ثم معسكرات في نيقولاي وميسلوفيتس ونايسه وأوبلين ولاسوفيتس- تيرنوفيتس وبوتوليس وشفينتوشلوفيتس (حيث قتل نحو ٤٠٠٠ معتقل)، أما بلدة سوسنوفيس فكان فيها ثلاثة سجون)، وأخيرا تارنوفيتس وزافيرسي.

وكان في المعسكرات والسجون البولندية التابعة لجهاز أمن الدولة أكثر من ٢٠٠ ألف معتقل ألماني مات منهم ما بين ٢٠ إلى ٥٠ في المئة.

ووفقا لتقديرات جون ساك قتل في تلك المعتقلات ما بين ٦٠ إلى ٨٠ ألف شخص، وهو يشير إلى أن «العدد قد يكون في الحقيقة أعلى من ذلك، لأن نسبة الوفاة في بعض المعسكرات كانت ٨٠ في المئة من المعتقلين»، «ومن بين الباقين على قيد الحياة أي حوالي ١٢٠ إلى ١٤٠ ألفا أدين ٨ , ٠ في المائة منهم بارتكاب جرائم حرب، وكان ٢ , ٩٩ في المئة منهم أبرياء».

«وعندما زحف الروس في ١٩٤٥، كان عدد الألمان الذين يعيشون في بولندا يقدر بنحو مليون و٢٩٣ ألفا، وكان في دانتسيج ٣٧٣ ألفا، وفي الجزء الألماني الخاضع لإدارة بولندية (أي محافظات شرق ألمانيا) كان هناك ثمانية ملايين و١٨٢ ألف شخص، أي أن الإجمالي هو ٩ ملايين و٨٤٨ ألف شخص»

ومن بين الألمان الذين كانوا يعيشون في بولندا وفي الجزء الألماني الذي خضع للإدارة البولندية ما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى ١٩٥٠ لم يبق نحو مليون و٤٦٧ ألف شخص على قيد الحياة.

وحسب بيانات المكتب الإتحادي الألماني للإحصائيات بلغ عدد الألمان الذين ماتوا في بولندا حتى ذلك الحين ١٨٥ ألفا، وفي دانتسيج ٨٣ ألفا وعدد الألمان في المناطق الألمانية سابقا شرق خط أودر- نيسه مليون و٣٣٩ ألفا.. والإجمالي هو مليون و٦٠٧ ألف شخص.

لكن مصادر أخرى تشير إلى أن الأعداد أكبر من ذلك: فتقدر وزارة شئون النازحين عددهم بنسبة تزيد ١٨ في المئة، وفي اجتماع بخصوص سليسيا في يونيو ١٩٦١ في هانوفر ذكر كونراد أديناور رقما يزيد بنسبة ٤٨ في المئة.

مؤرخون يؤكدون حدوث «محرقة الألمان»

من بين وسائل الإعلام الغربية التي سعت إلى التحقق من وقائع جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب ارتكبها يهود في زمن الحرب العالمية الثانية برنامج سكيستي مينتس (٦٠ دقيقة) الذي تبثه شبكة سي.بي.إس الأمريكية حيث التقى رئيس المجلس اليهودي العالمي، وكما هو متوقع أنكر تلك الوقائع وقال «لم يحدث ذلك» إلا أن البرنامج عثر على أدلة دامغة بخصوص ما أورده جون ساك في كتابه «العين بالعين».

شهادات وأدلة جديدة

وقد أكد مراسل البرنامج ستيف كروفت «ذهبنا إلى بولندا لإجراء مقابلات خاصة مع السجناء السابقين في شفينتوشلوفيتس، وانفردنا بلقاءات مع شهود آخرين غير شهود جون ساك أو الشهود الذين يحتفظ أرشيف ألمانيا الاتحادية بشهاداتهم، وسمعنا القصص نفسها مرات ومرات، وأبلغنا ممثل الادعاء البولندي بما وجدناه من شهادات وفاة لمعتقلين في المعسكر موقعة باسم شلومو موريل، وما جمعناه من معلومات كاف لاتهام موريل بممارسة أشكال علنية من التعذيب النفسي والجسدي ودفع السجناء للانتحار».

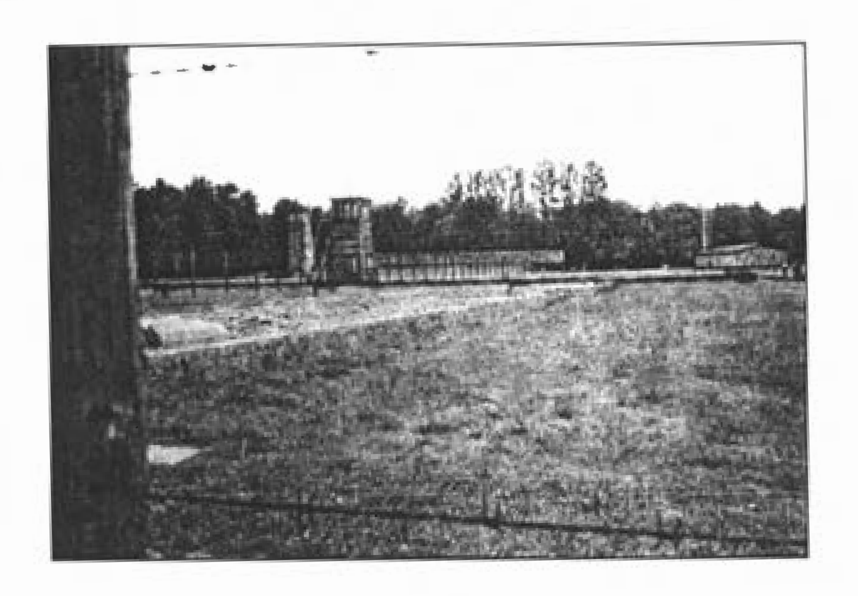
ومنذ ذلك الحين ظهرت أدلة جديدة في صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية والصحف والمجلات الألمانية تعزز ما ورد في كتاب «العين بالعين» وتحقق منها باحثون في الولايات المتحدة وبريطانيا استنادا إلى أرشيف الشرطة السرية السوفيتية

في موسكو ولجنة التحقيق في الجرائم ضد الأمة البولندية.

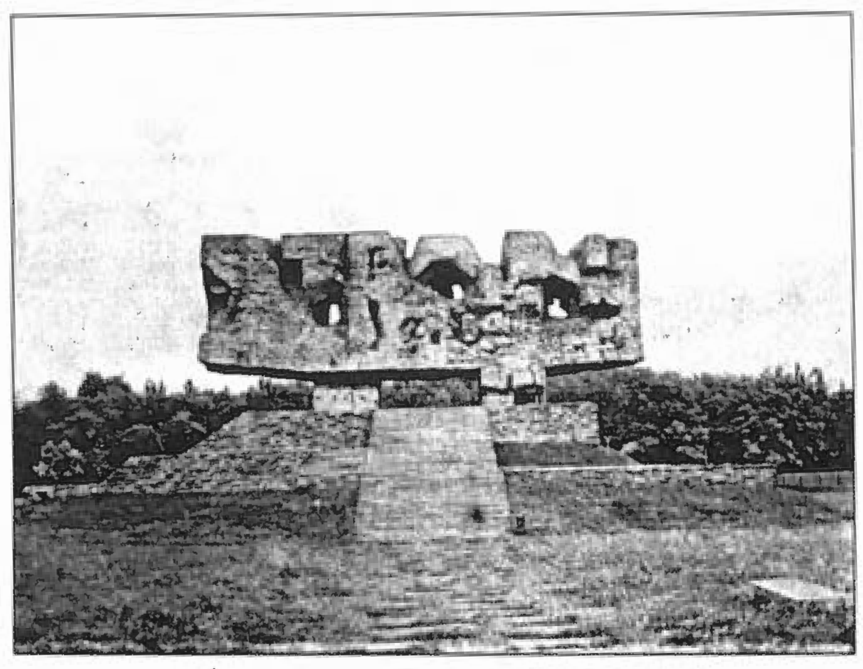
وكتب محرر السياسة الخارجية السابق في صحيفة نيويورك تايمز نوفمبر عام ١٩٩٤ تقريرا من صفحة كاملة حول تحقيقات السلطات البولندية في اتهامات بالقتل ضد شلومو موريل ضابط الشرطة السرية السابق الذي خدم مع الشيوعيين خلال الحرب، وأنه تولى في ربيع عام ١٩٤٥ قيادة «معسكر تعذيب النازي» في شفينتوشلوفيتس قرب كاتوفيتش، وأورد التقرير مقتطفات من أقوال شهود في المعسكر الذي كان يرأسه بعد الحرب عن أن مئات المدنيين الألمان عذبوا وضربوا حتى الموت في معسكره، وأن بعضهم قتل على يديه، ونشرت التايمز مقابلات مع اثنين من الناجين من معسكر شفينتوشلوفيتس وأرملة أحد الناجين الآخرين ومع جون ساك.



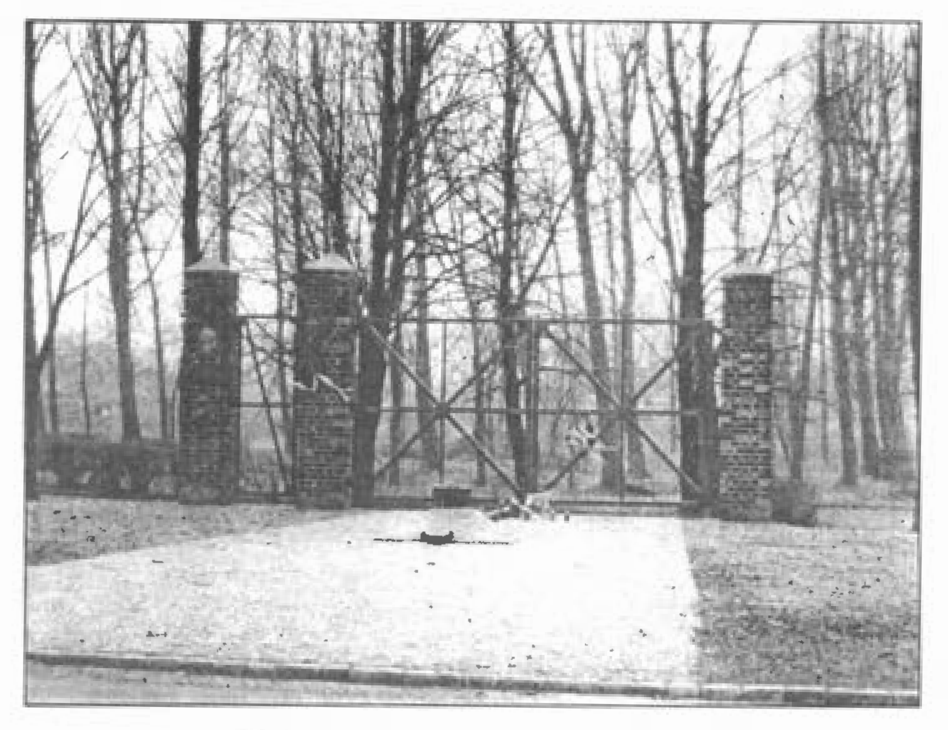
هيلينا بروس



معسكر عمل شتوتهوف في بولندا



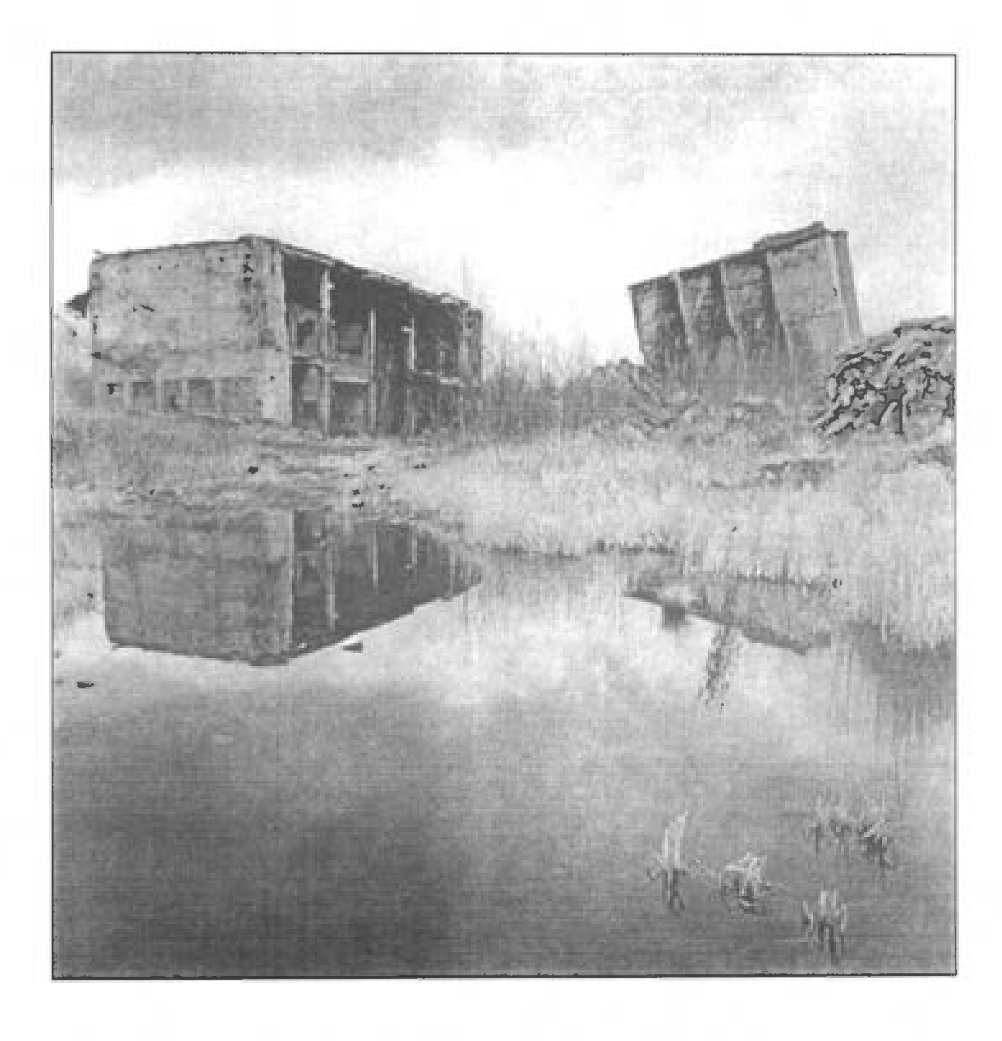
نصب تذكاري وسط معسكر ماجدانيك الألماني



البوابة الرئيسية لمعسكر أينتراختسهويته الألماني
والتي أصبحت نصبا تذكاريا لشفينتوشلوفيتس في بولندا



مجموعة من الأطفال اليهود يغادرون بالقطار معسكر اعتقال بوخينفالد..
بعض هؤلاء وجد طريقه إلى فرنسا أو الولايات المتحدة ومنهم من رحل إلى
فلسطين لتبدأ مأساة أخرى



أطلال من مدينة جلايفتس.. مدينة معسكرات الاعتقال والتطهير العرقي

الفصل الخامس

انتقام اليهود من الألمان يتحول إلى حقيقة تاريخية

◆◆◆

مدخل

أخيرا أثمر جهد جون ساك.. أصبحت وقائع تحقيقه الصحفي جزءا من التاريخ المعترف به في أوروبا وأقر به مؤرخون وأكاديميون بارزون واعتمدوا كتابه مصدرا موثوقا، ومنهم من اعتبره كتابا بلا ثغرات، وأكد مؤرخ أوروبي بارز هو نورمان دافيز أن جهاز الأمن الشيوعي في بولندا ضم عددا كبيرا من اليهود وأن جرائمهم الشنيعة لم تنشر على نطاق واسع بسبب الكراهية المتجذرة للألمان، وعثر باحثون على تقارير من أرشيف المحفوظات الروسية تؤكد أن اليهود تولوا ٥٠ في المئة من المناصب القيادية في جهاز أمن الدولة البولندي.. أما الحدث الأخطر فكان اعترافا علنيا على شاشة التليفزيون الإسرائيلي بأن عملية الانتقام تواصلت حتى عام ١٩٤٨، وارتكب يهود إسرائيليون جرائم قتل جماعي بحق الألمان في مناطق كانت تحت إشراف الجيش الأمريكي.

* صحف ومجلات ألمانية كلفت مؤرخين بتحري الوقائع التي ذكرها جون ساك وكتب أحدهم في «زويد دويتشه تسايتونج» إن «الكتاب ليست به أية ثغرات» وقال آخر في فرانكفورتر ألجماينه تسايتونج «إنها حقائق لا تقبل الجدل تتسم بالقسوة الشديدة لكنها حقيقية.

* أنتوني بولونسكي أستاذ التاريخ اليهودي في أوروبا الشرقية يؤكد أن دافع المؤلف هو تخليص اليهود من إحساسهم بالذنب وكتابه مساهمة كبيرة في فهمنا لتاريخ تلك الفترة.

* إستيفان ديك أستاذ التاريخ في جامعة كولومبيا يقول إن جهاز أمن الدولة الرهيب في بولندا كان معقلا لليهود الشيوعيين وكان كثير منهم ضمن القادة الجدد

الذين تحكموا في وزارة الداخلية وجميع أفرعها.

* وقائع كتاب العين بالعين أصبحت مقبولة في التاريخ الأوروبي في مايو ١٩٩٧ عندما نشر كتاب «أوروبا.. تاريخ- بقلم د. نورمان دافيز» حيث أكد أن جهاز الأمن الشيوعي ضم عددا كبيرا من اليهود وأن جرائمهم الشنيعة لم تنشر على نطاق واسع بسبب الكراهية المتجذرة للألمان.

* أشار تقرير بأرشيف المحفوظات الروسية في موسكو عام ١٩٤٥ إلى أن اليهود يتولون ٥٠ في المئة من المناصب القيادية في جهاز أمن اندولة البولندي أي نحو ١٥٠ شخصا.

* ٤٨ رضيعا من بين ٥٠ ماتوا لأن طبيب المعسكر كيدروفسكي – أحد الناجين من الهولوكست - لم يوفر لهم الحليب بناء على أوامر من شلومو موريل.

* القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي كشفت جوانب من قصص الانتقام بدواعي الفخر ببطولات المنتقمين.

* مجموعة من الإسرائيلين ذوي الأصول الألمانية سعوا إلى قتل أكبر عدد ممكن من الألمان بغض النظر عما إذا كانوا أطفالا أو نساء أو شيوخا أو حتى إن كانوا غير منتمين للحزب النازي.

* مجموعة «المنتقمين» الإسرائيليين وضعت سما في ثلاثة آلاف رغيف خبز في معسكر الماني خاضعة للأمريكان في ١٣ إبريل ١٩٤٦ على أمل أن يتناوله أكثر من ١٣ ألف شخص.

* الإسرائيلي سيماح روتم اعترف على شاشة التلفزيون أن مجموعته نجحت في تسميم نحو ٢٢٨٠ ألمانيا داخل معسكر خاضع للأمريكان واضطر الجيش الأمريكي لاستدعاء جميع سيارات الإسعاف المتاحة لإنقاذهم وأخفى الواقعة عن وسائل الإعلام.

* مجموعة «المنتقمين» الإسرائيلية استمرت في عملها حتى بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ وأصدر الرئيس الإسرائيلي وقتها حاييم فايتسمان أوامره بتصنيع السم بكميات كبيرة وإرساله لتلك المجموعة في ألمانيا.

* الإسرائيليون حاولوا تسميم محطتي مياه في منطقتي بيرنبرج وريدباخ الألمانيتين وتعطلت العملية بعد كشف وثائقهم المزورة في ميناء تولوز الفرنسي.

«الجرائم.. حقائق لا تقبل الجدل»

في ربيع عام ١٩٩٥ عندما أصبح كتاب «العين بالعين» من بين أكثر الكتب مبيعا في ألمانيا (بعد ترجمته) كلفت الصحف والمجلات الألمانية مؤرخين بالذهاب إلى الأرشيف الاتحادي الألماني في كوبلينز للتحري بشأن تلك الوقائع، وقال أحد المؤرخين في صحيفة زويد دويتشه تسايتونج إن «الكتاب ليست به أية ثغرات» وقال مؤرخ آخر في فرانكفورتر ألجماينه تسايتونج «إنها حقائق لا تقبل الجدل، وتتسم المشاهد التي صورها من أجريت معهم المقابلات في بعض الأحيان بالقسوة الشديدة، إلا أنها حقيقية، فمعظم المشاهد حسبما تحققت بنفسي في كوبلينز تنطبق بالنص مع شهادة لأحد الشهود في كوبلنز»، وكتب مؤرخ آخر تحقق من محفوظات الأرشيف الاتحادي في مجلة دير شبيجل الألمانية «المقابلات لم تخترع كما يفترض منتقدو الكتاب».

دافع المؤلف تخليص اليهود من الإحساس بالذنب

لمدة ستة أعوام أيد الباحثون في الولايات المتحدة الوقائع التي أوردها كتاب «العين بالعين»، وفي نوفمبر ١٩٩٣ كتب أنتوني بولونسكي أستاذ التاريخ اليهودي في أوروبا الشرقية في صحيفة برانديس «قرأت هذا التقرير المريع عن الأحداث التي صاحبت نهاية الحرب، وفي رأيي أن هناك سؤالين يحتاجان لإجابة، الأول عن دافع المؤلف وهنا أنا مقتنع تماما أن هدف جون ساك كما كتب بنفسه كان أكبر من مجرد

حكي تفاصيل قصة انتقام يهودي، وإنما كتابة قصة عن كيفية تخليص اليهود من إحساسهم بالذنب، والسؤال الثاني عما إذا كانت القصة حقيقية وعلى أي أساس، وهنا أيضا أنا مقتنع أن المؤلف باحث حاد، والكتاب في الحقيقة مساهمة كبيرة في فهمنا لتاريخ تلك الفترة».

ثلاثة أرباع عملاء جهاز الأمن البولندي كانوا يهودا

في فبراير ١٩٩٧ بعد ثلاثة أيام من إلغاء دعوة لجون ساك لكي يلقي محاضرة في متحف ذكرى المحرقة عن موضوعه قال إستيفان ديك أستاذ التاريخ البارز في جامعة كولومبيا في مؤتمر في لوس أنجليس تحت رعاية مركز الدراسات اليهودية بالجامعة نفسها، إن «جهاز أمن الدولة في بولندا» كان «معقلا لليهود الشيوعيين، وكان كثير من اليهود ضمن القادة الجدد الذين تحكموا في وزارة الداخلية وجهاز أمن الدولة الرهيب، وتحكموا تقريبا في جميع أفرع هذه الأجهزة وأجهزة أمن الدولة الأخرى، وجرائم البوليس السياسي البولندي الذي كان يقوده اليهود تماما، من التعذيب إلى القتل إلى تزوير نتائج الانتخابات إلى عمليات الطرد، إلى آخره كانت معروفة وتتداول على الألسن».

وتلقت وقائع الكتاب مزيدا من التأييد من جون ميكجيل الأستاذ بجامعة كولومبيا وإرنو ماير الأستاذ بجامعة برنستون، وأصبحت الوقائع التي كشفها الصحفي -المحقق جون ساك- مقبولة في التاريخ الأوروبي في مايو ١٩٩٧ عندما نشر كتاب «أوروبا.. تاريخ- بقلم د. نورمان إ. دافيز» (من جامعة أكسفورد)، حيث كتب دافيز إن «المعرفة الشعبية في بولندا كانت تؤكد باستمرار على أن جهاز الأمن الشيوعي سيء السمعة ضم عددا كبيرا من اليهود (أو اليهود السابقين) وأن جرائمهم كانت شنيعة، ونشرت بعض الحقائق الملموسة ولكنها استبعدت بسبب الكراهية (المتجذرة للألمان)، لكن ما صدر حديثا كسر محرمات راسخة، وما يجعله

أكثر إقناعا أن محققا يهوديا جمع أدلة وشهادات من شهود يهود هو الذي حقق هذه الوقائع وبهدف نبيل هو تخليص اليهود من الإحساس بالذنب، ودراسة جون ساك تستخلص إنه في عام ١٩٤٥ كان ثلاثة أرباع عملاء جهاز الأمن الشيوعي من أصل يهودي وأن المعسكرات والسجون النازية السابقة امتلأت بمدنيين أبرياء تماما وخاصة من الألمان وأن التعذيب والتجويع والضرب السادي والقتل كان عملا روتينيا وأن عدد ضحايا النظام الشيوعي من السكان الألمان يقدر بستين إلى ثمانين ألف شخص، وفي ضوء ذلك يصعب تبرير الممارسات واسعة الانتشار التي تم بواسطتها تحديد القتلة والضحايا في بولندا زمن الحرب على أساس التعاطف مع مجموعات عرقية معينة».

وفي عام ١٩٩٨ ذكر باحثون أنهم عثروا في أرشيف المحفوظات الاتحادية الروسية في موسكو على تقرير مرسل من اللواء نيكولاي سيليفانوفسكي مستشار الشرطة السرية الروسي بوزارة أمن الدولة في وارسو إلى لافرينتي بيريا رئيس الشرطة السرية الروسية في موسكو، يقول تقرير سيليفانوفسكي المؤرخ بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٤٥ إن «اليهود يتولون خمسين في المئة من المناصب القيادية في جهاز أمن الدولة البولندي»، ولم يحدد سيليفانوفسكي ما إذا كان يقصد مناصب وزارة أمن الدولة في وارسو أم في كل بولندا، أو ما إذا كان يقصد بالمناصب القيادية مجرد اثنين من القادة الكبار أو ألفين من أصحاب المناصب فيها. وفي سياقات أخرى يقصد بكلمتي «المناصب القيادية» مديري القطاعات (الأمنية) في وارسو ونوابهم في جميع قطاعات وارسو والمديرين ونوابهم في كل أنحاء بولندا، وهذا يعني نحو مائة وخمسين شخصا.

وينقل جون ساك في كتابه «العين بالعين» عن تقرير سيليفانوفسكي أن معظم اليهود في وزارة أمن الدولة سجلوا أنفسهم كمسيحيين وليس كيهود، وكتب أيضا

أن اليهود بدأوا في ترك الوزارة «ابتداء من يونيو ١٩٤٥» وفي سبتمبر ١٩٤٥ «ترك المئات من اليهود وزارة أمن الدولة» و«عادت مجموعة من اليهود إلى التوراة والتلمود وهربوا من الوزارة في ديسمبر ١٩٤٥».

وفي مايو ١٩٩٥ بعد تحقيق اللجنة الإقليمية (في كاتفيتش) حول الجرائم ضد الدولة البولندية والذي استمر ست سنوات قالت اللجنة عن المعتقل الذي كان شلومو موريل قائده إن «موريل مسئول بالتأكيد عن عدم منع الوفيات الجماعية لـ ١٥٨٣ شخصا على الأقل، وبغض النظر عن سبب اعتقالهم فقد استخدمت ضدهم نفس الأساليب التي كان يستخدمها النازيون في المعتقلات وهي وسائل للإبادة الجماعية، وتقع المسئولية الكاملة عنهم على شلومو موريل الذي لم يمنع ذلك وإنما مارس تلك الوسائل شخصيا».

في بعض المعسكرات والسجون لقي آلاف المدنيين الألمان حنفهم، وشمل ذلك الرجال والنساء والأطفال، حيث كان هناك أطفال رضع، وفي معسكر واحد كان هناك عنبر لخمسين طفلا رضيعا موضوعين في أسرة، لكن طبيب المعسكر الدكتور كيدروفسكي اليهودي -الذي كان من بين السجناء اليهود في معسكر أوشفيتس- لم يوفر لهم الحليب أو التدفئة اللازمة، بل أعطاهم كمية محدودة من الشوربة، فلقي ثمانية وأربعون طفلا من الخمسين حتفهم، وكان ذلك بناء على أوامر من شلومو موريل.

قصص الانتقام في القناة الثانية للتلفزيون الإسرائيلي

مصدر جديد يدعم ما ذهب إليه جون ساك في كتابه، المصدر هو القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي التي كشفت جانبا من «الانتقام» مساء الجمعة ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٥، فقد بثت القناة بدواعي الفخر والاعتزاز تقريرا حول ما عرف في أوساط اليهود الألمان الناجين من المعسكرات النازية باسم «المنتقمين»، أعده الصحفي

يورام بينور، يتحدث عن مجموعة من الإسرائيلين ذوي الأصول الألمانية وضعوا هدفا محددا لهم هو قتل أكبر عدد ممكن من الألمان بغض النظر عما إذا كانوا أطفالا أو نساء أو شيوخا، أو حتى إن كانوا غير منتمين للحزب النازي أو من مؤيديه.

يقول سيماح روتم المعروف باسم «كاجاك» والذي تجاوز – وقتها- السبعين من عمره «جميعنا التزم الصمت على مدى أكثر من ستين عاما، لكننا قررنا أن نتحدث فلم يعد أمامنا الكثير من الوقت، بسبب إلحاح أحفادنا.. قررنا الكشف عن أنفسنا أمامهم عسى أن يكون ذلك عبرة لهم»... «إننا مجموعة ممن تمكنوا من البقاء على قيد الحياة في معسكرات الموت الألمانية، وبحلول ربيع عام ١٩٤٥ تحول كل شيء وأصبح هدفنا قتل أكبر عدد ممكن من الألمان الذين كانوا يقتلوننا»..

بينما تقول «فتكا» وهي تحمل بين يديها حفيدتها التي تجاوزت العامين: «في تلك الفترة كانت هناك مجموعة من اليهود الناجين الذين هاجموا في منتصف الليل منازل ضباط وجنود ألمان واغتالوهم بدافع الانتقام، لكننا فضلنا أن يكون انتقامنا أوسع وأكبر...»

ويضيف «كاجاك» إن مجموعته قامت بتسميم الخبز في أحد المعسكرات الألمانية حيث وصلت عبوات مليئة بالسم «أرسنتاج» والصمغ.. و«في ١٣ إبريل عام ١٩٤٦ قمنا بدهن أكثر من ٣٠٠٠ رغيف خبز مخصص للجنود الألمان وكنا نتوقع أن يتناول هذه الكمية من الخبز أكثر من ١٣ ألف شخص».

ثم يتابع «بعد ذلك بساعات قليلة استدعى الجيش الأمريكي جميع سيارات الإسعاف التي كان يملكها لإسعاف ما يزيد عن ٢٢٨٠ شخصا تسمموا من تناول الخبز، وحرص الأمريكان على إخفاء الواقعة عن وسائل الإعلام، وحتى هذه اللحظة لا يعرف أحد عدد الجنود الألمان الذين ماتوا نتيجة التسمم، لكن إحدى الصحف الأمريكية نشرت خبرا عن مرض غامض أصاب الجنود الألمان، ولم

يعرف أحد سبب المرض»، الذي اعتبره «كاجاك» «بفخر» في شهادته على شاشة القناة الثانية للتليفزيون الإسرائيلي «نتيجة عمل وطني انتقاما من الجلاد».

وتابع «حصلنا على كميات كبيرة من السم وقررنا توسيع حجم الانتقام ووصلنا إلى مصادر المياه وكان بإمكاننا تسميمها، ما كان سيؤدي لقتل سكان مدن وقرى ألمانية كاملة، لكننا خشينا أن يشرب أصدقاؤنا الأمريكيون من هذه المياه.. لم يكن يزعجنا إطلاقا أن يموت النساء والأطفال الألمان.. لكن خوفنا أن يتسمم أصدقاؤنا هو ما جعلنا نوقف تنفيذ تلك العملية».

السم من إسرائيل مباشرة

وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية وبدأ الآلاف من اليهود يغادرون ألمانيا مباشرة إلى فلسطين استمرت مجموعة المنتقمين في عملها حتى بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨، وأصدر الرئيس الإسرائيلي وقتها حاييم فايتسمان أوامره بتصنيع السم بكميات كبيرة وإرساله لتلك المجموعة في ألمانيا حسب تقرير التليفزيون الإسرائيلي.

عن هذه العمليات قالت «فتكا»: «إن المؤسسات اليهودية التى بدأت إدارة شؤون الدولة أخذت تعيد النظر في عمليات الانتقام، وترددت في استمرارها لأسباب سياسية ودولية.. وقاد هذا التوجه ديفيد بن جوريون (أول رئيس وزراء في إسرائيل)». وأضافت فتكا: «للأسف هذا التردد أدى إلى إلغاء عملية كنا نعتبرها أكبر وأوسع عملية انتقام خاصة في منطقتي بيرنبرج Bernburg وريدباخ Riedbach الألمانيتين اللتين كانتا ستمحيان تماما لو نفذنا عملية الانتقام بتسميم المياه».

لكن رواية فرنسية رسمية تعيد التراجع عن تنفيذ العملية لأسباب أخرى.. مسؤولون إسرائيليون وفروا السم ووثائق سفر مزورة لمجموعة المنتقمين، لكن سلطات ميناء تولوز الفرنسي اكتشفت تزوير وثائقهم وأوقفتهم، فتخلصوا من

السم الذي كانوا يخفونه داخل معلبات أطعمة، ثم لجأوا إلى خطة بديلة.

المهم في هذا التقرير أن شهوده لم يكونوا يعبرون عن ندم أو تأنيب الضمير أبدا، بل عن فخرهم بأنهم انتقموا.. ومر التقرير دون أن يتوقف عنده أحد في العالم ولا في ألمانيا نفسها، ليمسك به دليلا حيا لمقاضاة قتلة يعترفون على شاشة التليفزيون!

من هم «أبطال» القصة

من بين مجرمي الحرب ومرتكبي الإبادة الجماعية وجرائم ضد الإنسانية الذين رصدهم جون ساك.. وآخرين قدمهم التليفزيون الإسرائيلي باعتبارهم «أبطالا»:

لولا بوتوك: بعد شهر واحد من هروبها من معسكر أوشفيتس، حملت مسدسا ألمانيا نصف آلي ثم تولت قيادة سجن يضم أكثر من ألف ألماني، معظمهم من المدنيين.. وكان هدفها الانتقام.

شلومو موريل: كان يضرب الألمان حتى الموت مستخدما أي شيء من الهراوات إلى الكراسي وعكازات السجناء الألمان المصابين بإعاقات نتيجة الحرب.

آدم كرافيكي: كان يضرب الألمان حتى «يعترفوا» بأي شيء ثم يرسلهم إلى معسكر اعتقال شلومو، وقال ببجاحة لكاهن ألماني «إنني متأكد أننا إذا حوكمنا أمام محكمة فإن القضاة سيوجهون لنا الشكر».

باريك أيزنشتاين: أول رجل ناج من معسكر أوشفيتس ينضم إلى جهاز أمن الدولة البولندي، الذي كان ثلاثة أرباع ضباطه -حسب اعترافه هو- من اليهود.. وكان يتوعد المساجين الألمان بقوله «الدماء تغلي في عروقي».

شلومو سنجر: انضم إلى جهاز أمن الدولة البولندي.. ورغم مظهره الهادئ ارتكب جرائم بشعة، ولكنه في النهاية أدرك إمكانية عقابه على جرائمه فراح يطلب من زملائه الذين يعذبون الألمان ألا يفعلوا ذلك.

حاييم شتودينبرج: مدير سجون سليسيا، استنسخ العيون الشريرة والشفاه

الملتوية لأفراد الحرس الخاص بهتلر، وكان يتوق لاستخدام نفس الحل الذي رآه هتلر بالنسبة لليهود مع الخمسة ملايين ألماني في سليسيا.

بينك ماكا: كان رئيسا لأمن الدولة في سليسيا عندما كان عمره ٢٣ عاما، ورفض السماح للصليب الأحمر بتفتيش معسكرات سليسيا قائلا «أنتم لم تساعدوا اليهود.. اذهبوا إلى الجحيم».

ياكوب بيرمان: رئيس جهاز أمن الدولة البولندى في ١٩٤٥.. أستاذ فلسفة يهودي كان يهوى ارتداء ملابس شديدة الأناقة.. في السجون التي كان يديرها مات نحو ٨٠ ألف ألماني من التعذيب.

شمعون أفيدان: انضم في شبابه للحزب الشيوعي الذي زرعه كعميل بين صفوف الحزب النازي، وهرب إلى إسرائيل بعد انكشاف أمره، وأرسله الموساد قرب نهاية الحرب العالمية الثانية لأوروبا ليتزعم جماعة «المنتقمين» التي عملت تحت ستار من السرية التامة، فقام مع مجموعته بتصفية مجرمي الحرب النازيين بعد محاكمات شوارع سريعة. وفي إسرائيل شغل منصب قائد لواء جفعاتي (من قوات النخبة) في حرب ١٩٤٨، وعينه شيمون بيريز عام ١٩٧٥ (عندما كان وزيرا للدفاع) كمراقب عام للوزارة. توفي في ١٩٩٤ عن عمر ٨٣ عاما.

يسرائيل كرمي: أحد أعضاء «المنتقمين» ولد في بولندا ١٩١٥ وتوفي عام ٢٠٠٨، وكان من المتطوعين في عصابة الهجناه الصهيونية.. ساهم في تأسيس سلاح المدرعات الإسرائيلي. وترأس مدرسة المدرعات وعين قائدا لقوات الشرطة العسكرية حتى تقاعد عام ١٩٧١.



آدم كرافيكي



باريك أيزنشتاين (مع زوجته)



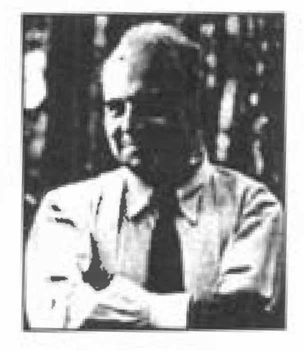
شلومو سنجر (مع زوجته)



حاييم شتودينبرج



بينك ماكا



ياكوب بيرمان



شمعون أفيدان



يسرائيل كرمي



أحد مقرات جهاز أمن الدولة البولندي في عام ١٩٤٦



أحد المعسكرات المؤقتة التي بناها السوفييت في بولندا من الداخل (مايو ١٩٤٥) وأداره أمن الدولة البولندي

الفصل السادس

مشاهد من معسكرات الكراهية والانتقام

◆◆◆



مدخل

جون ساك لا ينكر محرقة اليهود ولا يشكك في رقم الستة ملايين، لكنه لا يتخذ موقفا عدائيا أو دعائيا ممن ينكرونها، بل يراها مسألة خلافية، يمكن قبول رأي من يفحص الأدلة على وجود غرف غاز في معسكرات أوشفيتس ويعتبرها كافية، ويمكن قبول من يرى العكس.. وهو يدرك «المنطق» في انتقام اليهود، هو بالطبع لا يبرره، لكنه يحاول رسم صورة منطقية للأحداث في بولندا عقب الاجتياح الروسي لها في يناير ١٩٤٥ وانسحاب الألمان غربا، ولذلك يقدم في كتابه جانبا من مأساة اليهود في معسكرات العمل النازية من خلال قصة شاهدته لولا الناجية من الأوشفيتس والتي أصبحت بعد ذلك مأمورة لسجن في جلايفتس البولندية من أجل الانتقام.. في حديث للإذاعة الوطنية العامة يؤكد ساك مرة أخرى أن الشاهدة التي تراجعت من قبل عن نشر قصتها لم تعترض على أي تفصيلة ذكرها في كتابه الذي قام بتحقيق أحداثه بعيدا عنها.

* المتحف الأمريكي التذكاري للهولوكوست ينظم ندوات عما فعله الأتراك في الأرمن والإيرانيون في الأكراد والكمبوديون في الكمبوديين لكنه لا يتحدث عن أي نوع من الإبادة الجماعية إذا كان اليهود من ارتكبوها.

* جون ساك أول شخص في العالم يتحدث علانية منذ الحرب العالمية الثانية عن جرائم إبادة جماعية ارتكبها يهود.

* مؤلف كتاب العين بالعين لا يعتبر من ينكر غرف الغاز «معاديا للسامية ولليهود» أو من «النازيين الجدد» بل يرى المسألة مجرد خلاف في الرأي.

* بعد أن انتهى ساك من كتابه أهدى نسخة إلى لولا فلم تبد أي ملاحظة نقدية

على قصتها.

* بعد أن عبرت الدبابات الروسية نهر فيستولا في بولندا يوم الجمعة ١٢ يناير ١٩٤٥ كان الألمان الذين لم يموتوا من قصف المدافع خليطا من الدماء والأجساد الممزقة تحت أقدام ثلاثة ملايين من جنود الجيش الأحمر.

* عند اقتراب الروس من معسكرات الأوشفيتس أمر القائد العسكري هيملر الحرس الخاص بالانسحاب ٢٠٠ ميل غربا إلى جروس روزين بألمانيا وإحضار ٦٤ ألفا من القتلة واللصوص واليهود الذين كانوا لسنوات يعملون كعبيد في معسكرات العمل.

* في رحلة انسحاب الحرس الخاص وطابور من ٦٤ ألفا من عمال المعسكرات كان الرصاص نصيب السجناء المنهكين أو المصابين بالتيفوس أو من يتعثرون في سيقان الآخرين.

* كانت لولا رقم ١٠ في طابور الزاحفين وسط الثلوج توشك أن تموت من الألم وعلى كتفيها إشارة عبد: صليب مطلي باللون الأحمر وفي تلك المسيرة رأت لولا نحو ثلاثمائة جثة على الطريق.

* بعد النجاة أصبح هدف لولا الوحيد هو مساعدة «أدا» و«زلتا» زوجتي اثنين من إخوتها على مقاومة الموت بأي شكل.

الانتقام والكراهية والتاريخ(*)

كان من المقرر أن أتحدث في المتحف الأمريكي التذكاري للهولوكوست، وكان قد أعلن عن الحديث في الكتيب الدوري للمتحف وفي موقعه على شبكة الإنترنت أيضا، لكن المتحف ألغى الندوة.

(*)نص شهادة للمؤلف جون ساك من خلال حديث بثته الإذاعة الوطنية العامة National Public Radio في ١٣ فبراير ١٩٩٧.

المتحف لا يتحدث فقط عما فعله الألمان باليهود، بل نظم فعاليات وندوات حول ما فعله الأتراك في الأرمن، وما فعله الإيرانيون في الأكراد، والكمبوديون في الكمبوديين، أي أن المتحف ينتهج نهجا تقدميا في تعليم الناس في أمريكا ما يمكن أن تؤدي إليه الكراهية العنصرية، لكن المسئولين عن المتحف للأسف لا يتحدثون عن أي نوع من الإبادة الجماعية، إذا كان اليهود هم الذين ارتكبوه، وهذا ليس مثيرا للاستغراب فقط بل مثير للحزن أيضا.

ما أقوله هنا كنت قد خططت لإلقائه في المتحف الأمريكي التذكاري للهولوكوست، وكان جمهور المتحف سيضم في الغالب كثيرا من المؤرخين، وما أنا بصدد الحديث عنه حدث قبل أكثر من نصف قرن، وعلى مدى تلك السنوات لم يتحدث مؤرخ، ولم يتحدث أحد على الإطلاق عنه علانية في أي مكان في العالم وحتى الآن.

أنا لست مؤرخا بل صحفي، وما أكتبه هو مادة خام للتأريخ، مادة – أتمنى - أن يهتم بها المؤرخون يوما ما.. كصحفي أذهب إلى أماكن الأحداث وأتابع ما يجرى، وأستمع إلى شهودها، ثم أكتب التقارير الصحفية، وسأبدأ بواحدة من تلك القصص الآن.. قصة حقيقية عن فتاة في سن المراهقة.

لولا

شعر أشقر، بنية العينين، جميلة جدا.. في المدرسة الثانوية تلعب بالحلقات الطائرة، وتقفز على أرجوحة، وتمثل دورا في قصة سنو وايت والأقزام السبعة، هي واحدة من الشخصيات الرئيسية، عند عودتها إلى المنزل كانت تسير في الشارع وهي تغني.. لم تكن تغني بالإنجليزية طبعا.. لأنها فتاة بولندية من بيدزن Bedzin في ثلاثينيات القرن العشرين، واسمها لولا بوتوك.

عندما كانت في الثامنة عشر من عمرها اجتاح النازيون الألمان بولندا، ووضعت

لولا على متن قطار متجه إلى مدينة أوشفيتشيم - أو أوشفيتس كما نعرفها الآن، طفلها الرضيع الذي لم يتجاوز العام أخذ من ذراعيها، ولم تره مرة أخرى، لم ترسل إلى غرف الغاز، ولكن والدتها أرسلت هناك. قتلت أمها وشقيقها وشقيقتها وأبناء وبنات إخوتها.. أربعة عشر شخصا.. لكن أحد أشقائها قال لها قبل إعدامه باللغة اليديشية «Nem nekumah انتقمي!».

(لم أكن لأذكر غرف الغاز في متحف الهولوكوست، فالكثيرون هناك يعرفونها، ولكن هنا على وجه الخصوص ربما لا يصدق كثيرون أن معسكرات أوشفيتس كان بها غرف الحرق بالسيانيد، وأنا أقبل أن يفحص أي شخص بتمتع بمصداقية في الأدلة على وجود غرف الغاز ثم يرى أنها ليست كافية لإثبات ذلك، وأقبل في نفس الوقت أن ينظر آخرون في تلك الأدلة ويخلصون إلى أنها كافية، ولا أعتبر من ينكر غرف الغاز «معاديا للسامية» أو من «الناريين الجدد» أو من المعادين لليهود، المسألة مجرد خلاف في الرأي)

الانتقام

في يناير ١٩٤٥ هربت لولا، كان وزنها ستة وستون رطلا، عيناها غائرتان، شعرها قصير كالرجال، ظهرها محني، يدها عاجزة عن الحركة، ترتدي فردتي حذاء شمال، وكل من كانت تحبهم ماتوا، أو أنها تعتقد ذلك، كانت تتفجر كراهية للألمان، وتريد أن تعبر عن كراهيتها لهم وأن تنفثها فيهم، إحدى صديقاتها من مرحلة الطفولة كانت في الحكومة البولندية، ذهبت لولا إليها وقالت لها «أريد أن أنتقم».

بعد شهرين، كانت الحرب مازالت مستمرة، وكانت لولا في ألمانيا، في الجزء الذي احتله الروس ويديره البولنديون، وارتدت لولا زيا بلون الزيتون، على سترتها أزرار نحاسية، وعلى الياقة ما كان يسميه الكشافة «البيض المخلوط» وعلى كتفيها نجوم. وبجوار فخذها مسدس لوجار، كانت لولا تعمل لحساب الحكومة

البولندية، كانت قائد سجن للألمان، وتسعى للثأر من هولوكوست اليهود.

الآن، لولا فتاة يهودية، درست التوراة، والتوراة تقول: «لا تنتقم»، ولولا تعرف ذلك، تعرف أنها تخالف تعاليم التوراة، ولكن هل بيننا أحد هنا يمكن أن يدينها على ذلك؟ أي منا لا يستطيع أن يفهم دوافعها؟ أستطيع أن أفهمها، ويمكن أن أجد من يسيطر عليهم هوس الانتقام المتعاطفين معها.

التقيت لولا بوتوك في إبريل ١٩٨٦.. كنت أعيش في هوليوود.. ولدى اجتماع في شركة بارامونت، وكانت السكرتيرة هناك تقرأ شيئا كتبته عن «نادي أبناء المليارديرات». قالت «إن المقال أعجبها. وأنه يذكرها بعائلتها»، فسألتها «نادي أبناء المليارديرات يذكرك بعائلتك؟» قالت: «نعم، كل هذا القتل.. أمي لولا كانت في أوشفيتس.. وبعد ذلك كانت مديرة سجن مليء بالنازيين». قلت لها «ماذا؟ مديرة السجن... ألا تعلمين أن هناك سينما؟.. يجب أن تحكي ذلك لليندا كاتبة السيناريو، وهي قريبة جدا من رئيس الشركة»، ولكن السكرتيرة قالت لي: «أعلم أن هناك سينما، لكنني لا أريد أن أقول شيئا لليندا، أريد أن أنتج ذلك الفيلم بنفسي!»

وجريا على قول مأثور في هوليوود: «المنتج هو مجرد شخص يعرف كاتبا»، توصلنا بسرعة إلى اتفاق.. أنا كاتب والسكرتيرة تعرفني، وبالتالي فهي منتجة، وما علي إلا أن أكتب مقالا في مجلة عن أمها لولا، وهي تعد فيلما عن ذلك.

بعد بضعة أيام.. وفي مقهى موستاشي في هوليوود، تناولت العشاء مع لولا.. امرأة أنيقة، تضع أحمر شفاه بلون المرجان وكحل أسود على عينيها، امرأة فاتنة تتحدث خمس لغات بطلاقة، في السادسة والستين من عمرها، وبدأت لولا تحكي لي قصتها، قصة لم يكن لصاحبتها بعد ذلك أي ملاحظة نقدية، فبعد أن صدر الكتاب أرسلت إليها في أستراليا حيث عاشت آخر سنوات عمرها نسخة كهدية واتصلت بها، وكان رد فعلها عاديا جدا، فقد تغيرت ظروفها تقريبا.. وأصيبت في آخر أيامها

بمرض الزهايمر.

بداية القصة مع الزحف الروسي على بولندا

في الساعة الخامسة صباح يوم الجمعة ١٢ يناير ١٩٤٥، كسر الصمت على طول نهر فيستولا في بولندا صوت عال يأمر بإطلاق النار! وصرخ آلاف الضباط الروس بكلمة «تمام يا أفندم»، وحملت الرياح كلماتهم إلى آذان جنود المدفعية الروس، وفي ثوان بدت الأرض كما لو كانت قد انشقت مع انطلاق عشرين ألف مدفع وصاروخ وقذائف هاون تنفجر على رؤوس جنود جيش هتلر النائمين، تلاها نداء آخر «أغلق! عمِّر! أطلق!، وبعدها انطلقت الذخائر من العشرين ألف مدفع مرة أخرى، «أطلقوا النار!»، «أطلقوا النار!»، «أطلقوا النار!» «الآن أطلقت المدافع مائة ألف دفعة نيران، واستمر سقوط القذائف على الألمان لمدة ساعة وخمس وأربعين دقيقة.. وعندما توقف دخان المدافع، كان الألمان الذين لم يموتوا من القصف خليطا من الدماء والأجساد الممزقة، الدم ينزف من آذانهم وأنوفهم وأفواههم المفتوحة تحت عجلات الدبابات الروسية وأقدام ثلاثة ملايين من جنود الجيش الأحمر يمرون فوق الجثث، وكان الشعار المكتوب على الدبابات السوفيتية: «إلى برلين!».

وبعد ستة أيام، اجتاح الروس مائة ميل غربا، وهزت قذائفهم نوافذ مقر قوات الحرس الخاص بهتلر في بلدة أوسفيتشم المليئة بأشجار الصفصاف، أو المعروفة حاليا بـ «أوشفيتس»، وفي الداخل كان الرجال والنساء من أفراد جيش هتلر الخاص، الذين ظلوا لسنوات يستمتعون بلحم الخنازير والبط المحمر والأرانب البرية، بعد أن يغسلوها بالنبيذ البلغاري والخمر اليوغسلافي، وبعد العشاء كان الرجال يسحبون الكراسي من تحت أرداف النساء، ليسقطن على الأرض في حالة من ضجيج السكارى، ومنهم من كان يتقيأ على السجاجيد الفارسية، ويراهنون من سيكون الشخص التالي الذي سيتقيأ، والنساء يعبثن مع الرجال السكارى، وعندما

اقترب الروس خرج أفراد قوات الحرس الخاص من المقر وهم يتقيأون الخمر اليوغسلافي ويندبون مصيرهم: «انتهى هتلر» و«انتهى كل شيء».

في تلك الليلة كانت قوات الحرس الخاص مذعورة من الأسلحة الروسية.. أي رحمة أو شفقة كان يمكن أن يتوقعها رجال أو نساء قوات حرس هتلر الخاص اللاتي يتعطرن بعطر «نوت دي باريس» من المشاة الروس؟ وفوجئ أفراد الحرس الخاص بأوامر هيملر - القائد العسكري المقرب من هتلر في برلين - بالانسحاب إلى جروس روزين بألمانيا، على بعد مائتي ميل غربا، وإحضار ٦٤٤٣٨ من القتلة واللصوص واليهود الذين كانوا لسنوات يعملون كالعبيد في أوشفيتس، ولم يكن هناك ما هو أسوأ من ذلك الانسحاب البطئ بسبب جرجرة أقدام أكثر من ٦٤ ألفا من العبيد معهم؟ لكن رجال الحرس الخاص الملاعين، انقضوا بقبعاتهم التي تشبه قبعات القراصنة يركبون دراجاتهم البخارية على الإسطبلات الواسعة حيث يعيش الستون ألف.

وصاح رجال الحرس الخاص: «قفوا!»، كالجرذان المتراصة فرقهم رجال الحرس الخاص، وصاح أحدهم «أيها الخنازير العفنة! أخرجوا!»، وتابع الرجل سيره داخل الممرات الرطبة، واتسخ حذاؤه من براز أحد السجناء المصاب بالإسهال، فراح يمسح الحذاء في مرتبة من القش، ويرفس السجناء نصف النائمين، ولتفادي القمل الذي ينتشر في أجسادهم لم يكن رجال الحرس الخاص يمسون أحدا من السجناء سوى بالحذاء أو السوط.

مرة أخرى صاح رجل الحرس الخاص: «أسرعوا!»، وأطلق الرصاص من مسدسه نصف الآلي على كل السجناء المنهكين أو الذين يعانون من التيفوس فقتلهم، وعندها كان الستون ألفا يهرولون بما تبقى من أمتعتهم.. بأحذيتهم، ويركضون في الهواء الطلق، ثم صاح عريف من الحرس الخاص: «تراصوا!، عد

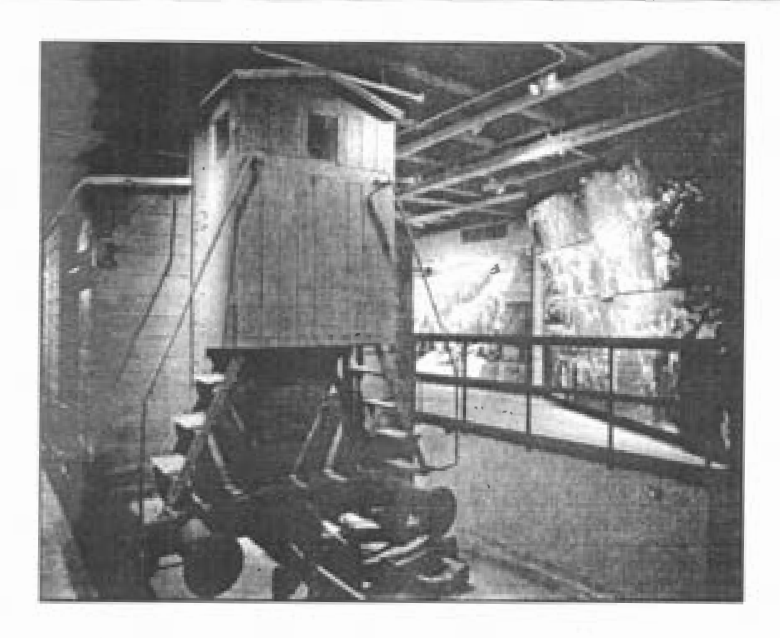
الأفراد!»، لكن آخرين من الحرس الخاص قالوا «لا، ليس هناك وقت!.. نحن سنتحرك الآن»، وتجاوز السجناء الأسلاك الكهربية ذات الـ ٦٠٠٠ فولت، وبوابة أوشفيتس، واللافتة المكتوب عليها «العمل يجعلك حرا»، على صوت الأوامر بالسير «إلى اليسار!».

من بين أولئك السجناء في تلك الليلة الشتوية كانت لولا بوتوك، فتاة يهودية من بولندا.. كانت رقم عشرة في طابور الزاحفين على الطريق إلى ألمانيا، وكان الثلج يتساقط، ليتجمد فوق حواجب لولا، وعلى مسافة غير بعيدة وراءها، كان الروس يضعون نسخا من صحيفة البرافدا داخل أحذيتهم للتدفئة، أما الحرس الخاص الألماني فكانوا يستعملون نسخ صحيفة أبندبوست، لكن لولا كانت تسير في حذاء عبارة عن فردتين شمال، والألم في أقدامها يكاد يقتلها، ركبها تصطك في بعضها البعض، ومن الاحتكاك بينهما كانت ركبها تنزف، والدم يسيل بوصة أو بوصتين قبل أن يتجمد على ساقي لولا العاريتين، وراءها كان الروس في معاطف من الفراء مكتوب عليها «الكلب بردان»، لكن لولا كانت ترتدي ملابس قديمة ومعطفا عليه إشارة عبد على الكتفين: صليب مطلي باللون الأحمر، والبرد يتسرب داخله إلى الجلد، وإلى العظم، ولم يكن في جسد لولا عضو آخر لم يتجمد من البرودة سوى قلبها.

لم تكن تفكر سوى في عائلتها، ولدت لولا في بلدة بيدزين على بعد عشرين ميلا لأب وأم مطلعين على التوراة، وكان لها عشرة إخوة وأخوات أكبر منها سنا: من بينهم ملاكم، ورئيس عمال، ومحاسب، ومصمم أزياء، ورئيس فرقة موسيقى شعبية كانت أجمل أغانيه «السماء الزرقاء» (ابتسم لي)، ومن بينهم أيضا عالم لغويات وطيار، لكن الألمان عندما اقتحموا باب منزلهم في ١٩٤٣ صائحين «أيها اليهود الأوساخ! أخرجوا!» واقتادوا طابورا من هؤلاء الإخوة والأخوات وأبنائهم وأم لولا وابنتها «كالماشية» إلى أوشفيتس، كانت لولا الوحيدة التي اعتبرها الألمان

سليمة الجسد، وكان عمرها عندئذ واحدا وعشرين عاما، أما الباقي فقد اختارهم طبيب الحرس الخاص «مينجل»، لكي يسمموا بالغاز (أو الشنق في حالة واحدة) والحرق في الأفران ذات الرائحة البشعة التي أقامها الحرس الألماني الخاص في أوشفيتس، ومن بين من أحرقوا كانت ابنة لولا، التي لم يتجاوز عمرها عاما واحدا.

وظل المشهد عالقا في ذاكرة لولا.. رجال الحرس الخاص الألماني بملابسهم الصوفية السوداء يقتادون ستين ألف شخص من المنكوبين، ويصيحون فيهم بغضب «استمروا في السير!»، بينما تزمجر كلابهم كلما أطلقوا النار على أي شخص يتوقف عن السير لأي سبب، كأن يتعثر في شيء أو في سيقان الآخرين، في تلك المسيرة رأت لولا نحو ثلاثمائة جثة على الطريق، والآن، بعد عام ونصف من تلك الرحلة القاسية لم تكن لولا تفكر سوى في «أدا» و«زالتا» التائهتين بجاورها، هما زوجتا اثنين من إخوتها، كانت تتصور وقتها أنهما الوحيدتين الباقيتين على قيد الحياة من بين أهلها.. ساعدتهما على البقاء في أوشفيتس بإطعامهما شوربة سيئة الرائحة (هل كانت شوربة اللفت الأصفر؟ أم نبات القراص؟ اليهود كانوا يعتقدون أنها شوربة نبات سام) تسقيهما بالمعلقة، قائلة بلغة الإيدش، «كلي»، فترفض كل منهما باكية، فتصرخ لولا «ابلعي!» فيبتلعان الشوربة بعد أن تغلقا أنفيهما. في أوشفيتس، صممت لولا مثل المدرب العنيف على أن تبقى عائلة بوتوك.



المتحف الأمريكي التذكاري للهولوكوست من الداخل



وسط مدينة بيدزين حيث عاشت لولا سنوات طفولتها

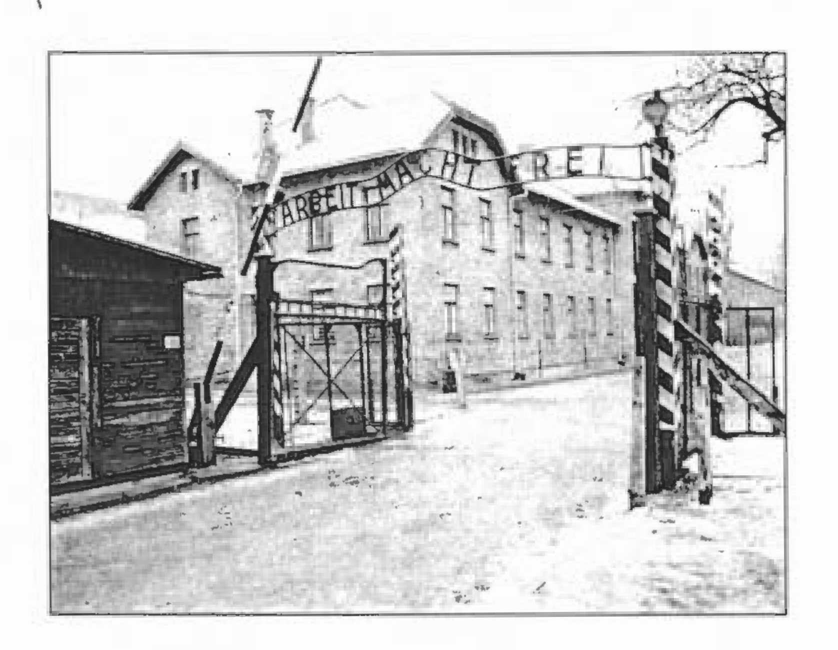


شارع ياجيلونسكا في جلايفتس التي ضمت معسكر لولا بوتوك في بولندا



من مدينة شفينتوشلوفيتس حيث كان معسكر شلومو موريل

١



البوابة الرئيسية لمعسكرات العمل في أوشفيتس



عمال في أحد معسكرات أوشفيتس ١٩٤٤



في الطريق إلى معسكرات العمل في أوشفيتس النازية

الفصل السابع

حملة سياسية لم تخطر ببال جون ساك



مدخل

بعد سنوات من صدور كتابه سجل جون ساك شهادته للتاريخ عما تعرض له من «حملة سياسية»، حملة إنكار منظمة، قام بها صحفيون وكتاب وأكاديميون، لا يريدون أن يصدقوا الحقيقة، ولا يريدون أن يكونوا منصفين أمام قرائهم، وأمام ما واجههم به ساك من وقائع مزعجة ومثبتة بالأدلة، في هذه الشهادة يتساءل ساك عن أن آلاف الكتب قد صدرت عن الهولولكست -المحرقة الألمانية بحق اليهود لكن أيا منها لم يقدم إجابة أمينة عن السؤال: «كيف فعلها الألمان؟ - ذلك الشعب الذي قدم للبشرية روائع فنية.. قدم بيتهوفن سيمفونيته التاسعة، و«نشيد الفرح»- لماذا ارتكب ذلك الشعب الراقي تلك المحرقة؟، لابد أن هناك أسبابا بالطبع تجاهلها مؤلفو تلك الكتب، حتى يظهروا أن طبيعة الألمان «النازيين» نفسها وراء جريمتهم، وبالسؤال نفسه يحاول ساك أن يجيب عن سبب تأليفه كتابه «العين بالعين»، يقول إن «هناك لغزا حلته لولا بوتوك واليهود الذين كانوا يعملون في جهاز أمن الدولة البولندي، هو أنهم من خلال شعورهم بالمعاناة واليأس والجنون وجدوا أنفسهم قد أصبحوا مثل النازيين أنفسهم».

* جون ساك: «توقعت أن يتصل أحد المتطرفين ليتهمني بأنني نازي لكنني لم أتوقع أبدا أن يسخر مني مثقف بارز على شاشة التلفزيون أو أن يتهمني مثقف آخر بمعاداة السامية والنازية»

* أحد الحاخامات نسب للمؤلف كتابة أشياء معينة لم يرد ذكرها في الكتاب على الإطلاق.

* يؤكد تقرير بولندي رسمي بتاريخ ٢١ نوفمبر ١٩٤٥ يحمل توقيع بوليسلاف

بيروت رئيس بولندا في ذلك الوقت أن مكتب أمن الدولة البولندي ضم ٤٣٨ يهوديا، أي ستين ضعف الرقم الذي ذكرته في كتاب «العين بالعين»

* بعض الأكاديميين البولنديين عثروا على تقرير سري يقول إن خمسين في المائة من قادة جهاز أمن الدولة البولندي في أكتوبر ١٩٤٥ كانوا يهودا

* رئيس تحرير مجلة أساتذة هارفارد رفض نشر وجهة نظري وعندما دفعت ٤٢٥ دولارا ثمنا لإعلان يحوي مضمونها رفض النشر أيضا، وعندما طلبت نشر إعلان مدفوع في صحيفة طلبة جامعة هارفارد لم ينشر أيضا.

* أحد الصحفيين استشهد بفقرة كاملة غير موجودة أصلا في كتابي «العين بالعين»، بل وببجاحة حددها بين أقواس باعتبارها منقولة من الكتاب، وكتب غيره عرضا للكتاب تحت عنوان: «شهادة مزورة» أو «الكذبة الكبرى».

* بسبب الحملة ضد كتابي تخلص الناشر الألماني من النسخ التي طبعها من الكتاب، ستة آلاف نسخة، وألغى الناشر البولندي اتفاق نشر الكتاب بالبولندية.

* معظم من قدموا عروضا للكتاب كانوا مصممين على إنكار ما جاء فيه من حقائق.

* رغم الضجة التي أثيرت حول الكتاب لم ينكر يهودي أو ألماني أو بولندي ممن عايشوا تلك الأحداث في عام ١٩٤٥ (باستثناء مرتكبي تلك الجرائم) ما كتبته في «العين بالعين».

* صحيفة فوروارد اليهودية البارزة قالت إن «ما كتبه جون ساك عمل درامي خيالي» وادعت الصحيفة أن لولا بوتوك لم تكن مأمورة سجن للألمان في جلايفتس، في حين أن لولا قالت لي ذلك بنفسها وأكد كلامها خمسة وثلاثون شخصا من بينهم القائد الحالي للمعسكر والمدير الحالي للسجون، لكن الصحيفة اليهودية تجادل!

نص شهادة جون ساك عن الحملة السياسية ضده

عندما نشر كتاب «العين بالعين» في نوفمبر ١٩٩٣ كان به خطأ في المقدمة، حيث

كتبت أن بعض اليهود الذين نجوا من المحرقة في ١٩٤٥ قتلوا آلاف المدنيين الألمان: رجالا ونساء وأطفالا وحتى الرضع منهم، وهذا الادعاء دقيق، لكنني كتبت بعد ذلك «إنني أعلم أنني إذا كتبت تقريرا صحفيا عن ذلك سأكون عرضة للانتقاد، وسأوصف بأنني وقح، وأستطيع من الآن أن أتوقع ما سيقوله العالم»، في ذلك الوقت كنت قد عملت سبع سنوات لإنجاز الكتاب، واعتقدت أن العالم لن يقول شيئا لم أتوقعه، لكنني في الحقيقة كنت مبالغا، نعم توقعت أن يتصل أحد المتطرفين بمحطة إذاعية في مكان ما ليتهمني بأنني نازي، وهذا في الحقيقة ما حدث بالفعل في برنامج إذاعي على محطة في رذرفورد بنيو جيرسي، لكنني في أكثر توقعاتي جنوحا لم أتوقع أن يشير مثقف بارز على شبكة تلفزيونية إليَّ قائلا «رجل يسمى جون ساك» أو أن يقول مثقف آخر «أولا.. هؤلاء الناس معادون للسامية، وثانيا هم نازيون جدد»، في حين أنني قبل عشر سنوات قدمت برنامجا انتقد فيه النازيين على القناة الثانية في لوس أنجليس - وما زلت على قائمة الاغتيال النازية- ولم أتصور أن أحد الأكاديميين سيعتبرني واحدا منهم يوما ما.

لكنني لم أتوقع أبدا أن يكذب أولئك الصحفيون وهم يعرضون كتابي، يقول أحدهم إن «جون ساك لم يحدد بدقة عدد الألمان الذين قتلوا في المعسكرات»، رغم أنني ذكرت ذلك بوضوح في الفصل التاسع، وصحفي آخر يكتب أن «ساك لم يكشف أن قائد معسكر في لامسدورف كان كاثوليكيا بولنديا» في حين أنني ذكرت ذلك بشكل واضح في الفصل الحادي عشر من الكتاب، الغريب أن آخرين - أحدهم حاخام -نسبوا إلي كتابة أشياء معينة لم يرد ذكرها في الكتاب على الإطلاق، في الفصل الرابع من كتابي «العين بالعين» قلت إن ثلاثة أرباع الضباط -المساعدين والقادة- في مكتب أمن الدولة البولندي بمدينة كاتوفيتش في فبراير ١٩٤٥ كانوا يهودا، لكن مجلة ادعت أنني قلت إن ثلاثة أرباع العاملين في جهاز أمن الدولة في

بولندا كانوا يهودا، وادعت صحيفة أخرى أنني قلت إن ثلاثة أرباع «المخبرين» في بولندا كانوا يهودا، وبعد أن ابتكرت تلك الصحف هذه الإحصائية راحت تدحضها مثلما كتب أستاذ في جامعة هارفارد تحت عنوان «نحن نعرف».

والحقيقة أن هؤلاء لم يكونوا يعرفون شيئا، كانوا فقط يحاولون التشويش على الحقائق التي كشفت جانبا منها، فطبقا لتقرير رسمي مؤرخ بتاريخ ٢١ نوفمبر ١٩٤٥ وموقع باسم بوليسلاف بيروت رئيس بولندا في ذلك الوقت: ضم مكتب أمن الدولة البولندي ٤٣٨ يهوديا، ٤٣٨ وليس ٧٥ في المائة من ١,٧ في المائة من إجمالي ضباط ومساعدي الجهاز كما أشرت في كتابي.

وعندما ذهبت إلى جامعة هارفارد التي ترفع شعار قيمة الحقيقة لم أكن أتوقع أبدا ما حدث، لنترك جانبا أستاذ هارفارد الذي لم ينكر أن رئيس جهاز أمن الدولة البولندي كان يهوديا، وأن كل رؤساء أفرع الجهاز كانوا يهودا، ولنترك جانبا أن بعض الأساتذة الأكاديميين البولنديين عثروا العام الماضي على تقرير سري يقول إن خمسين في المائة من قادة جهاز أمن الدولة البولندي في أكتوبر ١٩٤٥ كانوا يهودا، وللتدليل على حسن نيتي كنت أعتقد أن ما قلته في كتاب «العين بالعين» كان كافيا، لقد ذكرت أن اليهود تركوا الجهاز «في يونيو ١٩٤٥» وأن «المئات من اليهود هربوا من جهاز أمن الدولة »بحلول شهر سبتمبر ١٩٤٥ وأنهم «جميعا باستثناء عدد محدود عادوا إلى التوراة والتلمود وهربوا من الجهاز بحلول ديسمبر ١٩٤٥»، وإذا كان هناك ٤٣٨ يهوديا في جهاز أمن الدولة البولندي في ٢١ نوفمبر ١٩٤٥ - كما كتب أستاذ هارفارد- فهذا يعني ستين ضعف الرقم الذي ذكرته في كتاب «العين بالعين»، ورغم ذلك لم يخطر ببالي أنني لن يسمح لي بنشر تقرير عن ذلك.. عندما كتبت رسالة إلى رئيس تحرير مجلة أساتذة هارفارد لم ينشره، وعندما دفعت ٤٢٥ دولارا ثمنا لإعلان يحوي مضمون تلك الرسالة رفض رئيس التحرير نشره أيضا، وبعدها طلبت نشر إعلان مدفوع في صحيفة طلبة جامعة هارفارد لم ينشر أيضا.

عندما كتبت «العين بالعين» لم يخطر ببالي أن يستشهد صحفي أثناء عرضه للكتاب بفقرة كاملة غير موجودة أصلا في الكتاب، أن ينسب لي ما لم أقله، بل وببجاحة يحددها بين أقواس باعتبارها منقولة من الكتاب، بعد ترجمة الكتاب إلى الألمانية انتقدني ذلك الصحفي البارز بقوله إنني انتابتني متعة سادية في ذكر تفاصيل مريعة، ولكي يبرهن على وجهة نظره ادعى أنه يستشهد بفقرة من الطبعة الألمانية:

«كانت الجثث سوداء كالوحل في حفرة صرف صحي، وكانت الوجوه شائهة، واللحم كأنه كتل من مادة صمغية.. بينما يصرخ الحاضرون...».

هي فقرة قد تكون سادية بالفعل لكنها في الحقيقة ليست موجودة في الطبعة الألمانية وإنما اخترعها الصحفي بنفسه، والأهم أن مثل هذه الحملة المنظمة من الانتقادات أثارت أعصاب الناشر الألماني حتى أنه تخلص من النسخ التي طبعها من الكتاب، ستة آلاف نسخة، ربما أنه دشتها أو أحرقها، وفي ظروف مشابهة ألغى الناشر البولندي اتفاق نشر الكتاب بالبولندية عندما نشرت صحيفة ألمانية ومجلة أمريكية مقتطفات مطولة مماثلة، وكانت تلك المجلة الأمريكية نفسها قد أعدت عرضا مكونا من إثني عشر ألف كلمة لكتاب «العين بالعين» بعد أن قامت بالتأكد من صحة كل كلمة، وكان غلاف ذلك العدد من المجلة سيحمل العنوان التالي: «معسكرات الموت يديرها اليهود»، ولكن قبل يومين من موعد طبع المجلة اتصل بي رئيس تحريرها ليبلغني «لن ننشر الموضوع»، ولم تكن تلك أول حالة من التراجع أواجهها، فقد ألغى متحف المحرقة التذكاري الأمريكي في واشنطن دعوتين للحديث عن كتابي «العين بالعين»، بعد أن أعلن مرتين عن الدعوة ألغاها مرتين!

بالتأكيد كان هناك صحفيون أمناء كتبوا عروضا للكتاب وتقارير صحفية ومقالات عنه في نيويورك، ونيويورك ديلي نيوز ونيوزويك، وذي بروجريسف وفي الإذاعة العامة وبرنامج «سكستي مينتس»، لكن معظم من كتبوا عروضا للكتاب

كانوا مصممين على إنكار ما جاء فيه من حقائق، فخلصت معظم المراجعات إلى أن «بعض اليهود سُمِح لهم أن يصبحوا قتلة» ووصفهم هؤلاء الصحفيون والكتاب بأنهم «مجموعة صغيرة من اليهود الناجين من المحارق» وكتب أحدهم إن «الذين ارتكبوا تلك الجرائم ليسوا إلا امرأة يهودية واحدة، وحفنة من الرجال اليهود الذين لم يكونوا يهودا بالأساس بل كانوا شيوعيين أكثر من كونهم يهودا»، وكتب أستاذ في جامعة كاليفورنيا أنهم «كانوا شيوعيين من أسر يهودية»، «شيوعيون ذوو خلفيات يهودية»، «شيوعيون من أصل يهودي»... بينما تعرفت أنا عى هؤلاء الناس على مدى سبع سنوات، ولم أكن أتخيل أن أقرأ مثل هذه التوصيفات لهم «شيوعيون من أصل يهودي»!، لقد أجريت مقابلات صحفية مع ثلاثة وعشرين يهوديا منهم كانوا يعملون في جهاز أمن الدولة البولندي، واحد منهم فقط كان يعتبر نفسه عام ١٩٤٥ شيوعيا، بينما كان مثله مثل الآخرين قد تعلم في مدارس يهودية ودرس التوراة، هؤلاء كانوا أحيانا يرتدون الطاقية اليهودية ويحضرون طقس بار ميتزافا (هو احتفال ببلوغ الصبي ثلاثة عشر عاما من عمره والذي يعني بدء مسئوليته الدينية كيهودي)، ورغم المخاطرة بحياتهم كان بعضهم يؤدي داخل المعسكرات الألمانية طقس الـ«ماتساه» (تناول خبز عيد الفصح)، وفي ١٩٤٥ كانوا يضيئون الشموع في أيام السبت، ويحتفلون بعشاء الليلة الأولى من عيد الفصح، ويقفون تحت المظلة اليهودية في حفلات الزفاف، ويعزفون في بوق قرن الكبش في يوم رأس السنة، ويصومون في يوم عيد الغفران، وفقا لأي تعريف ألم يكن هؤلاء يهودا؟ وفقا لتعريف التلمود أم تعريف حكومة إسرائيل أم حكومة ألمانيا النازية!! لو كان هؤلاء قد ماتوا في المحرقة لاعتبرهم العالم بالتأكيد من بين الستة ملايين!

لكنني على ما يبدو لم أكن موفقا في لعبة التوقعات، لقد سئلت كثيرا عن تفسير ذلك لكني عجزت عن فهم السبب الذي دعا كثيرين في هذا العالم لأن يدوروا حول أنفسهم لكي يتجنبوا مواجهة هذا الكتاب، إننا نعرف أن الرفض والإنكار هو

أول رد فعل للمريض عندما يقول له الطبيب إنك ستموت قريبا، وربما أن المؤسسة اليهودية تخشى من قولي إن اليهود بشر طبيعيون، اليهود يمكن أن يحبوا ويكرهوا وينتقموا شأنهم شأن البشر الآخرين، ربما تخشى المؤسسة اليهودية من أنني أعلن نهاية الديانة اليهودية أو الجنس اليهودي على يد النازيين الجدد!، وربما تخشى المؤسسة اليهودية من أنني أثبت أن اليهود لم يكونوا دائما ضحايا يضطهدهم الكاثوليك والبروتستانت والمسلمون، ويحق لهم بناء على ذلك أن يطالبوا الآخرين بتقديم تعويضات لهم، وبالتالي أنا أدعو لنهاية إسرائيل، ربما أن الرجال الذين يشرفون على الجالية اليهودية يشعرون أن يوم التكفير (يوم الغفران) هو عملية مؤلمة، وأن اليهود الذين يصرون على الاعتراف بالذنب الذي ارتكبناه هم في نظرهم ليسوا يهودا على الإطلاق بل مجرمون من أصل يهودي.

أنا لا أومن بذلك طبعا، وأي تحقيق أو تقرير صحفي يقول إن اليهود ليسوا قديسين صحيح تماما، فالتوراة تقول إن الملك سليمان، (حتى الملك سليمان) «قام بعمل شرير» هي معلومة عمرها ألفا عام لم يستطع اليهود أن ينفوها من الوجود، لماذا إذن أصروا على مدى خمسين عاما نفي معلومة شلومو (سليمان) موريل؟ لقد اعتقدت أن قصة رجل أدار معسكر اعتقال لقتل آلاف السجناء -وفقا لشهادة يهود وألمان وكان مطلوبا للمحاكمة في بولندا لكنه هرب إلى الشرق الأوسط – قصة تستحق النشر، لكن شلومو ليس ألمانيا بل يهوديا، ولم يهرب إلى سوريا بل إلى إسرائيل، ولمدة خمسين عاما لم تكتب عن تلك القصة صحيفة أمريكية واحدة، وبعد أن ظهر هذا الكتاب سألت عنه عشرات الصحف، وبعضها كتب بالفعل تقارير عنه وأبلغني المسئولون فيها أنهم سينشرونها في اليوم التالي، ومر عام دون أن ينشروا شيئا، وبعد ذلك نشرت قصة إخبارية في نيويورك تايمز، وكتبت التايمز عن التعذيب وجرائم القتل في معسكر شلومو لتؤكد ما وصفه أستاذ هارفارد مستخدما

تعبير «الادعاءات الأكثر شناعة» في كتاب «العين بالعين».

بالطبع أرحب بها فعلته التايمز وإن كان قد جاء متأخرا جدا، فأنا لا أعرف أحدا، حتى من بين الناجين من معسكر شلومو، يمكن أن يمنع نفسه من التعاطف مع شخص قُتل أبوه وأمه وإخوته وأعمامه وعماته وأبناؤهم جميعا في المحرقة، شخص أبعده الألم عام ١٩٤٥ عن وصية التوراة «لا تنتقم»، لكن كثيرا من الناس، وأنا من بينهم، يمكن أن يصابوا بالفزع من أن الصحف ذاتها التي تخبرنا كل عام عن أفضل شهر عسل، وتحدثنا عن الدمية باربي والحارس النازي جون ديميانيوك، تلك الصحف التي تقول إن «رجلا عض كلبا» لا تقول أيضا إن «شلوما عض كلبا»، وسيصاب كثير من الناس بالفزع أيضا إن لم يكن رد الفعل المتمثل في الإنكار والرفض لمدة خمسين عاما هو في الحقيقة شكل متطور للتغطية السياسية البالية، ويمكنني أن أشير بفخر إلى أن ناشر التايمز ورئيس تحريرها التنفيذي وقت نشر قصة شلومو موريل يهود مثلي تماما، وحتى يأتي اليوم الذي لا يكون فيه لدى الشعب الذي يؤمن بأن العالم المتحضر هو من يحب جميع جيرانه دون أي استثناءات، ولا يعتبر نفسه أكثر تحضرا من الصرب أو الصوماليين، حتى يأتي ذلك اليوم... لا أعتقد أنني ولا كتابي «العين بالعين» أبشر بنهاية الديانة اليهودية والجنس اليهودي وإسرائيل.

نعم كنت أدرك منذ البداية أنه كتاب مؤلم، لكن الأحداث التي يحققها كانت تستحق النشر، ومنذ بداية عملي في مهنة الصحافة لم أسع أبدا لأن أكون كاتبا مثيرا للجدل، لكن متابعتي لقضايا غير عادية جعلني هدفا للانتقاد في أوقات كثيرة، أما سبب الجدل فهو أننا نعيش في زمن تسيطر عليه السياسة، حتى أن كتابة الحقيقة تثير الجدل والخلاف.

بوضع هذا في الاعتبار يجب أن أشكر قراء كتابي الذين لم يستسلموا لمراجعات تحمل عناوين على شاكلة «اصنعوا معروفا ولا تقرأوا هذا الكتاب»، فهو يستهدف

صون التعاليم الأخلاقية للديانة اليهودية، ورغم الضجة التي أثيرت حول الكتاب لم ينكر يهودي أو ألماني أو بولندي ممن عايشوا تلك الأحداث في عام ١٩٤٥ (باستثناء مرتكبي تلك الجرائم) ما كتبته في «العين بالعين».

عندما ألفت كتابي لم أتصور أبدا أن يصفه بعض الناس بأنه «كذبة بشعة»، فكثير من محتويات الكتاب وقائع قام بالتحقق من صحتها ثلاث مجلات كبرى وصحيفة قال رئيس تحريرها «إن ذلك التحقيق الصحفي هو الأكثر دقة -ربما- في تاريخ الصحافة الأمريكية»، وكثير من هذه الوقائع حققها برنامج «سيكستي مينتس» فوجد ثمانية شهود عيان آخرين لم أتمكن من العثور عليهم، ولذلك لم أتخيل أبدا عنوانا لأحد عروض هذا الكتاب مثل «شهادة مزورة» أو «الكذبة الكبرى»، وقالت صحيفة فوروارد Forward اليهودية البارزة إن «ما كتبه جون ساك عمل درامي خيالي»، وادعت الصحيفة أن لولا بوتوك -الشخصية المركزية في كتاب «العين بالعين»- لم تكن مأمورة سجن للألمان في جلايفتس«، في حين أن لولا قالت لي ذلك بنفسها «كنت قائدة للمعسكر» وأكد كلامها خمسة وثلاثون شخصا من بينهم القائد الحالي للمعسكر والمدير الحالي للسجون، وفي حوزتي وثيقة تقول «قررنا تعيين المواطنة لولا بوتوك مديرة للسجن»، ولدي وثيقة أخرى موقعة باسمها كـ naczelnika أي قائد باللغة البولندية، لكن الصحيفة اليهودية تجادل، «هذه القصة مستبعدة تماما»، بينما ادعى عرض آخر للكتاب بأنني ألفت شخصية لولا.

عندما قرأت هذه العروض لكتابي شعرت أنني أقف أمام محاضر غريب الأطوار يسألني «ترى من تصدق؟ هل تصدق عينيك أم تصدقني؟»، وأرسلت خطابا إلى المجلة اليهودية فوروارد، وفي السنوات السبع الماضية كتبت نحو ١٥٠٠ خطاب بخصوص كتابي «العين بالعين»، تكاد كلماتها أن تبلغ ضعف كلمات الكتاب نفسه.

ربما يتساءل القارئ إن كنت شخصا مجنونا؟ لماذا لم أقل ليذهب كل شيء إلى

الجحيم؟ لماذا أتحمل كل ذلك؟ السبب أن ٨٥ ألف كتاب قد صدر عن الهولولكست (المحرقة) ولم يقدم أي منها إجابة أمينة عن السؤال التالي: «كيف فعلها الألمان؟ -الألمان الذين قدموا لنا بيتهوفن والسيمفونية التاسعة، و«نشيد الفرح» و«كل البشر سيكونون إخوة»- كيف ارتكب هؤلاء الألمان المحرقة؟

علينا أن نجد حلا لهذا اللغز، وإلا ستتكرر أحداث الإبادة الجماعية في كمبوديا والبوسنة وزائير.. ما كتبته في «العين بالعين» هو أن لولا قد حلت اللغز، واليهود الذين كانوا يعملون في جهاز أمن الدولة البولندي قد حلوا اللغز، لأنهم من خلال شعورهم بالمعاناة واليأس والجنون -إذا صح التعبير- وجدوا أنهم أصبحوا مثل الألمان النازيين أنفسهم.

موجات الكراهية

ولو كنت أنا هناك لربما أصبحت واحدا منهم أيضا، والآن أفهم السبب، فلولا مثل كثير من اليهود ولأسباب مفهومة كانوا مشحونين بكم هائل من الكراهية في ١٩٤٥، وكانوا يعتقدون أنهم إذا انضموا لجهاز أمن الدولة البولندي وأفرغوا شحنة الكراهية على الألمان سيتخلصون من ألمهم.

لكن ذلك لم يكن اختيارا صائبا، لنفترض أنني أحب فتاة ما، عندئذ لن أقول لنفسي: «إن بداخلي كم من الحب، فلو ظللت أحبها وأحبها سأستنفذ طاقة حبي تجاهها، وينتهي الحب داخلي»، إننا جميعا ندرك أن الحب شيء متناقض، كلما عبرنا عنه كلما زاد لدينا.

فلماذا لا نفهم ذلك فيما يتعلق بالكراهية؟ إذا كرهنا، وتصرفنا بناء على هذه الكراهية، سنواصل الكراهية أكثر فيما بعد، إذا أفرغنا شحنة من الكراهية.. ماذا سيحدث؟ سنحفز غدد إفراز اللعاب لكي تفرز المزيد، قطرة فقطرتين فثلاثة فملعقة صغيرة ثم ملعقة كبيرة حتى نفرز جبلا من الكراهية، حتى نصبح ماكينات

آلية الحركة تنتج الحقد والكراهية حتى نخلق محرقة جديدة.

ليس من الضروري أن تكون ألمانيا لتصبح كذلك، بل يمكن أن تكون صربيا أو يهوديا أو فردا من قبائل الهوتو.. نحن الأمريكيين كنا كذلك في الفلبين وفيتنام، وفي واشنطن العاصمة موطن الهنود الحمر لعشرة آلاف سنة.. الهنود الحمر الذين أقاموا يوما إحدى خيامهم على الأرض التي أصبحت الآن المتحف التذكاري الأمريكي للمحرقة اليهودية.

بداخلنا جميعا ما يمكن أن يجعلنا مثل النازيين، فالكراهية -مثلما أدركت لولا- تشبه العضلات، إذا أردنا أن نصبح وحوشا فما علينا إلا أن ندربها على الحركة، بأن نكره الألمان وأن نكره العرب وأن نكره اليهود.. فقط أن نواصل الكراهية، فكلما دربنا العضلات أكثر كلما كبرت، تماما كما لو كنا نحمل كل يوم أربعين كيلوجراما، ثم خمسين ثم ستين، عندها سنصبح أبطال العالم في الكراهية، يمكننا أن نصبح شعبا مليئا بالكراهية، ويمكننا أن ندمر الشعب الذي نكرهه، لكننا بالتأكيد ندمر أنفسنا.

هذا ما يجب أن نتعلمه من درس اليهود الذين انضموا إلى جهاز أمن الدولة في بولندا، وهذا ما حاولت أن أكتبه، وما كتبته بالفعل في «العين بالعين»، وأولى كلماته هي التضحية، «أهدى هذا الكتاب إلى جميع من لقوا حتفهم وإلى جميع من يمكن أن يبقوا على قيد الحياة بسبب هذه القصة».. وهذا ما كنت قد خططت لقوله أمام المتحف التذكاري للمحرقة.



الفهرس